وزارة التعليـــم العـــالـــي والبحث العلمـــي

Université Abou Bekr Belkaid Tlemcen

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

Faculté des Sciences Humaines et Sociales

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

Département des Sciences Islaimque

قسم العلوم الإسلامية

سند بيداغوجي موجه لطلبة السنة الثالثة عقيدة ومقارنة الأديان:

مقياس: الاستشراق والتنصير

من إعداد: د.دبيحي حياة

السنة الجامعية: 1439-1440هـ/ الموافق ل: 2019-2020م

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ
حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ
بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ
وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ
وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ
عَزِيزٌ ٤٠ ﴾ الحج (40)

مقدمة:

باسم الله العلي الحكيم الذي خلق عباده شعوبا وقبائل ليتعارفوا، وجعل التدافع سنة من سننه عز وجل في خلقه ليمحصهم أيهم أهدى سبيلا:

أما بعد:

إنّ تخصص العقيدة ومقارنة الأديان من أهم التخصصات في العلوم الإسلامية التي تمتاز بتكوين الطالب على منهجية تقوم على معرفة الهوية الذاتية والاعتزاز بها، مع انفتاح على الآخر فهما، واستجلاء لآفاقه الفكرية والعقدية، خصوصا إذا كانت هذه الآفاق متقاطعة مع الإنسان المسلم ومأثرة في واقعه، وربما حتى دينه، ومن هنا كان مقياس الاستشراق والتنصير الموجه لطلبة السنة الثالثة عقيدة ومقارنة الأديان المقياس الأمثل الذي يكشف عن حقيقة ميدانين من أهم الميادين التي أولى لها الغرب أهمية كبيرة منذ قرون طويلة، ويمكن القول منذ مجيء الإسلام، وذلك لما للميدان الأول من دور في تشكيل المخيال الغربي اتجاه العالم الإسلامي، فضلا عن الوشائج القوية التي تربطه بالثاني (التنصير)، إذ يعد الأول منهما في كثير من الأحيان تمهيدا للثاني يكشف له عن السبل التي يلج من خلالها إلى عقول وقلوب المسلمين؛ كما لا ننسى أن هذين الميدانين (الاستشراق والتنصير) كثيرا ما كانا القوة الناعمة للاستعمار التي تسعى إلى تقديمه على صورة الفتح الحضاري أو الإيمان المخلص.

ويبقى هذا الجانب أحد أوجه الاستشراق التي تكاد تكون غالبة عليه، ومع هذا فإننا لا نعدم وجود المنصفين داخل هذا الميدان العلمي، وكذا بعض الفوائد التي جناها الفكر الإسلامي منه من خلال الكشف عن إنجازات للحضارة الإسلامية كانت مغيبة عن العالم، وحتى عن أبناء هذه الحضارة ذاتها.

ومن هنا ونظرا لهذه الأهمية التي يمتاز بها هذا المقياس ارتأيت أن أخصه بهذه المطبوعة التي تسعى إلى كشف جذوره وماهيته، وأهم المجالات التي خاض فيها خصوصا منها ما ارتبط مباشرة بطبيعة التخصص المقدمة إليه دروسه، فكان أن فصلت محاور هذا المقياس على النحو الآتي:

المحاضرة 1: مفهوم الاستشراق:

تمهيد:

كلمة الاستشراق هي الترجمة العربية التي غلب استعمالها كمقابل لكلمة Orientalism الغربية التي تدل على الأبحاث التي يقوم بها بعض الغربيين حول الشرق، وإن كان هذا المقابل قد استبدل في بعض الأحيان بترجمات أخرى ك "علماء المشرقيات"، ومن كلمة استشراق استعمل فعل استشرق وليس في اللغات الأجنبية فعل مرادف له[1]، وهو ما يقودنا إلى البحث في دلالات هذا المصطلح وأبعاده.

1-تعريف الاستشراق لغة:

كلمة الاستشراق كلمة مستحدثة في اللغة العربية مأخوذة من الفعل المزيد "استشرق"، ومعلوم أنّ الحروف الثلاثة المزيدة هنا (ا س ت) تدل في العربية على الطلب، ومن ثمة فكلمة استشرق تعني طلب الشرق، أو توجه نحو الشرق، أو أدخل نفسه في أهل الشرق وصار منهم كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين في هذا العلم[2].

2-تعريف الاستشراق اصطلاحا:

إنّ تعريف كلمة استشراق اصطلاحا يقتضي منا الرجوع إلى أصلها الغربي الذي نشأت فيه للوقوف على دلالتها في بيئة المنشأ أولا، لنعرج بعد ذلك على دلالته عند المفكرين العرب والمسلمين:

أ-تعريف الاستشراق عند الغرب:

عرفت كلمة مستشرق (Orientalist) في معجم كامبردج بـ:

---

[1]-ينظر: محمد أمين بني عامر: المستشرقون والقرآن الكريم، 11؛ وإسماعيل علي محمد: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل -مدخل علمي لدراسة الاستشراق-، 10-11.

[2]- محمد أمين بني عامر: المرجع نفسه، 12

«Specialized a person who studies the languages and culture of countries in the east and southeast of Asia»[1]

أي: تخصص الشخص الذي يدرس لغات وثقافة الدول في الشرق والجنوب الشرقي لآسيا.

وعرف الاستشراق في معجم مريام وبستر الانجليزي بتعريفين جاء فيهما:

«Orientalism :

1-Scholarship, learning, or study in Asian subjecs or languages; 'knowledge of Islam crystallised into what became known by the late 18th century, as Orientalism –the study of the history, languages and cultures of the East'. Roger Hardy.

-Now often used with negative connotations of a colonialist bias underlying and reinforced such scholarship. 'According to Edward Said and other postcolonial critics, much of our dim view of Arabs is a product of an –Orientalism- that was constructed by European intellectuals of the 19th century'. Vicor Hamson Davis

2-Usually Orientalism: something (such a style or manner) associated with or characteristic of Asia or Asians.

-First known use of Orientalism: 1747, in the meaning defined at sense 2.» [2]

ومعنى ذلك: الاستشراق:بمعناه الأول: 1–منحة دراسية، أو تعلم، أو دراسة في موضوعات أو لغات آسيوية، حيث يقول روجر هاردي*"تبلورت المعرفة بالإسلام إلى ما أصبح معروفا في أواخر القرن 18م بالاستشراق، وهو دراسة التاريخ واللغات والثقافات الخاصة بالشرق".

–ويستخدم حاليا في كثير من الأحيان مع دلالات سلبية من التحيز الاستعماري المخفي والمعزز لهذه المنح الدراسية، يقول فكتور هامسون دفيس*: "وفقا لإدوارد سعيد وغيره من نقاد ما بعد الاستعمار، فإن الكثير من نظرتنا المعتمة للعرب هو نتاج الاستشراق الذي بناه المثقفون الأوروبيون في القرن 19م."

المعنى 2–عادة الاستشراق: شيء (مثل الأسلوب أو الطريقة) يرتبط أو يميز آسيا أو الآسيويين.

–أول استخدام معروف للاستشراق، 1747م، بالدلالة المحددة في المعنى 2. [1]

---

[1] -Cambridge Advanced Learner's Dictionary, 1084.

[2] -Merriam-webster; www.merriam-webster.com/dictionary/Orientalism; 25/07/2019; 7H30M.

ويذهب المستشرق الألماني رودي بارت Rodet Paret** إلى القول بأنّ الاستشراق علم يختص بفقه اللغة خاصة، وبما أنّ الكلمة مشتقة من كلمة شرق التي تعني مشرق الشمس فإنّه يرى أنّ الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالمي الشرقي، ثم يحاول تحديد مفهوم مصطلح الشرق وما تعنيه الكلمة في هذا المقام، فيتبين أنّ هذه الكلمة تعرضت إلى تغيير في معناها الجغرافي بحسب العصور وحوادث التاريخ، ثم يخلص إلى القول: «ومهما يكن من أمر فإنّ الاسم لا يبين بوضوح مستقيم المقصود منه بالضبط، والمهم هو الموضوع.»[2]

وعليه، فدلالة كلمة استشراق أو مستشرق في الفكر الغربي تدور حول معانٍ عديدة أهمها: التخصص في كل ما يتعلق بالشرق من: ثقافة وتاريخ، ولغات، وديانات، وعادات وتقاليد، فضلا عن فقه اللغة، مع اعتراف بأنّ المصطلح تخصص أكثر فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين.

ب–تعريف الاستشراق عند العرب:

فإذا ما رجعنا إلى المجال العربي فإنّنا نجد كذلك تعاريف عديدة ومختلفة للاستشراق، نختار ثلاثة منها، بدءا بأحمد الزيات الذي عرفه بقوله: «يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتايخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره، ولكنه في العصور الوسيطة كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين، ودراسة العربية لصلتها بالعلم، إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغمورا بما تشعه منائر بغداد والقاهرة من أضواء المدنية والعلم؛ كان الغرب من بحره إلى محيطه يعمه في غياهب من الجهل الكثيف والبربرية الجموح.»[3]

وعرفه مالك بن نبي بقوله: «إننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية.»[4]

---

[1]–وإذا كان القاموس قد حدد هذه السنة كأول عام ظهرت فيه كلمة الاسشتراق بالمعنى المبين أعلاه، فإن منظمة اليونيسكو في ملفه حول الاستشراق تذهب إلى غير ذلك كما سيأتي بيانه في عنصره نشأة الاستشراق؛ ينظر: الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره، 11.

[2]–إسماعيل علي محمد: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل (مرجع سابق)، 11.

[3]– المرجع نفسه، والصفحة.

[4]–مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، 5.

أمّا إدوارد سعيد فإنّه لا يعطي مفهوما واحدا للاستشراق كما ذهب هامسون ديفيس –كما سبقت الإشارة إليه–، وإنّما يفرق بين ثلاثة معان للاستشراق –أو مستويات كما يذهب إلى ذلك أسامة يس محمد إبراهيم في مداخلته في المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية في الخرطوم–[1]، حيث يقول (إدوارد سعيد) عن الأول منها: «مبحث أكاديمي، بل إنّ هذا المفهوم لا يزال مستخدَمًا في عدد من المؤسسات الأكاديمية، فالمستشرق كل من يعمل بالتدريس أو الكتابة أو إجراء لبحوث ف موضوعات خاصة بالشرق، سواء كان ذلك في مجال الأنثروبولوجيا أي علم الإنسان، أو علم الاجتماع، أو التاريخ، أو فقه اللغة، وسواء كان ذلك يتصل بجوانب الشرق العامة أو الخاصة، والاستشراق إذن وصف لهذا العمل.»[2]

ويقول عن الثاني: «...فالاستشراق أسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي والمعرفي بين ما يسمى "الشرق"، وبين ما يسمى (في معظم الأحيان) "الغرب". وهكذا فإنّ عددا بالغ الكثرة من الكتاب –من بينهم شعراء، وروائيون، وفلاسفة، وأصحاب نظريات سياسية، واقتصاديون، ومديرون إمبرياليون– قد قبلوا التمييز الأساسي بين الشرق والغرب باعتباره نقطة انطلاق لوضع نظريات مفصلة، وإنشاء ملاحم، وكتابة روايات، وأوصاف اجتماعية، ودراسات سياسية عن الشرق، وعن أهله وعاداته، وعن "عقله"، ومصيره، وهلم جرًّا. وهذا اللون من الاستشراق قد يضم أيسخولوس*، مثلا، وفكتور هوجو، ودانتي، وكارل ماركس.»[3]

وعن العلاقة القائمة بين النوع الأول والنوع الثاني من الاستشراق يقول: «والتبادل القائم بين المعنى الأكاديمي للاستشراق والمعاني التي تعتبر خيالية إلى حد ما تبادل ثابت، وقد بدأت حركة التبادل الكبيرة والمنتظمة –بل والقائمة أحيانا على نظم ثابتة– بين هذين المعنيين من أواخر القرن الثامن عشر.»[4]

---

[1]–ينظر: محمد أمين بني عامر: المسشرقون والقرآن، 16–17.

[2]–إدوارد سعيد: الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: محمد عناني، 44.

[3]–المرجع نفسه، 45.

[4]– المرجع نفسه، والصفحة.

ثم يعرج إلى المعنى الثالث للاستشراق فيحدده بقوله: «وهنا آتي إلى المعنى الثالث للاستشراق، وهو معنى يستند في تعريفه إلى عناص تاريخية ومادية أكثر مما يستند المعنيان الآخران. فإذا اعتبرنا أواخر القرن الثامن عشر نقطة انطلاق عامة إلى حد بعيد، استطعنا أن نناقش ونحلل الاستشراق بصفته المؤسسة الجماعية للتعامل مع الشرق، والتعامل معه معناه التحدث عنه، واعتماد آراء معينة عنه، ووصفه، وتدريسه للطلاب، وتسوية الأوضاع فيه، والسيطرة عليه: وباختصار بصفة الاستشراق أسلوبا غربيا للهيمنة على الشرق، وإعادة بنائه، والتسلط عليه.»[1]

وهنا، يتبين لنا أن إدوارد سعيد يفرق بين هذه الأصناف الثلاثة من الاستشراق حيث يبين أنّ الأول والثاني منهما وإن كانا يتبادلان النظرة الخيالية للشرق ومكوناته بدءا من أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، إلاّ أنّ الأول منهما هو عبارة عن وصف للأعمال أو النشاطات التي يقوم بها الأكاديميون في مختلف مجالات بحثهم المتعلقة بالشرق، في حين أنّ الثاني يحمل معنى أعم من الأول حيث يقوم أساسا (كأسلوب تفكير لدى رواده) على تمايز وجودي ومعرفي بين ما اصطلح عليه بالشرق والغرب، أي الشرق كمقابل ومغاير ومتضاد مع الغرب، فالاستشراق بهذا المعنى يقصد به الفكرة الجماعية التي تحدد هوية الغرب الأوروبي وتفرق بينه وبين جميع الآخرين غير الأوروبيين، «هذا إلى جانب هيمنة الأفكار الأوروبية عن الشرق، وهي التي تُكرِر القول بالتفوق الأوروبي على التخلف الشرقي، وهو القول الذي عادة ما يتجاهل إمكان وجود مفكر يتمتع بدرجة أكبر من الاستقلال أو التشكك وقد تكون له آراؤه المختلفة في هذا الأمر.»[2]

أما المعنى الثالث فيشير إدوارد سعيد إلى أنه يقوم أكثر شيء على مفهوم الهيمنة، حيث تسخر كل العناصر التاريخية والمادية لدراسات، وأبحاث تصب في هذا الاتجاه، اتجاه السيطرة على الشرق، والهيمنة عليه، وإعادة بنائه وتشكيله بما يتوافق والمصالح الغربية.

- **وخلاصة القول أنّ المستشرق لابد أن تتوفر فيه جملة من المواصفات هي: أن يكون غربيا بغض النظر عن ديانته (نصرانيا، أو يهوديا، أو مسلما أو ملحدا)، وإن**

---

[1]– إدوارد سعيد: الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق (مرجع سابق)، 45–46.

[2]–المرجع نفسه، 51.

كان السواد الأعظم من المشتغلين بالاستشراق من غير المسلمين، فالمهم أنه عالم غربي يطلب دراسة علوم الشرق، خاصة الشرق الإسلامي العربي*.

المحاضرة 2: نشأة الاستشراق وتطوره

تمهيد: تعد نشأة الاستشراق من أعقد المجالات التي تم بحثها ومحاولة تحديدها في هذا الحقل المعرفي الشاسع، وذلك لتبيان الآراء حوله بين الباحثين والمؤرخين فيه كما سيأتي بيانه فيما يأتي:

1–نشأة الاستشراق:

أطلقت كلمة مستشرق لأول مرة سنة 1630م على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية، ثم أطلقت بعد ذلك على من عف لغات الشرق، واستعملت كلمة الاستشراق لأول مرة في "معجم الأكاديمية الفرنسية" سنة 1838م بعد أن شاع استعمالها وأصبحت اللفظة دالة على التخصص في الثقافات الشرقية[1].

وإذا كان هذا شأن أول ظهور لكلمتي مستشرق واستشراق في المعاجم والبيئة الغربية –بيئة المنشأ–، فإنّ الأمر يختلف في زمن ظهور هذه الظاهرة (ظاهرة الاستشراق)، إذ تباينت آراء الباحثين حول البدايات الأولى للفكر والعمل الاسشراقي على النحو الآتي:

---

*–ملاحظة: عد نجيب العقيقي بعض الرهبان العرب والشرقيين ونفسه من المستشرقين وهذا لا يستقيم مع ما تم بيانه أعلاه، وهو ما عليه أغلب الباحثين في الاستشراق من العرب والغرب.

[1]–منظمة اليونسكو: الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره، (مرجع سابق)، 11.

–يوحنا الدمشقي (John of Damascus) (675–749م): هو يوحنا منصور سرجيوس أو سرجون، قديس وكاهن وراهب سرياني، عاصر الخلافة الأموية، لقب بألقاب عديدة لبيان مكانته أهمها: اللامة الكبير، ومجرى الذهب، وعلامة الكنيسة؛ اختلف في أصله بين: بيزنطي، وسرياني وعربي من بني تغلب، اعتبرته الكنيسة الكاثوليكية أحد معلمي الكنيسة بدءا من سنة 1883م؛ يعد مؤسس اللاهوت السكولاستي القائم على الفلسفة اليونانية الأسطوطالية، تدور مؤلفاته ضمن مجالات أربعة هي: العقيدة، والجدل الديني، والليتولوجيا (علم خصائص الأحجار)، والموسيقى، ومن أهم هذه المؤلفات المتعلقة بمجال الاستشراق: حوار مع المسلمين، جدال بين مسلم ومسيحي، إرشادات النصارى في جدل المسلمين. ينظر: حسيب شحادة: القديس يوحنا منصور سرجون الدمشقي، https://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=44859؛ ويوحنا الدمشقي: https://ar.orthodoxwiki.org/

أ–الرأي الأول: ويرجع البدايات الأولى للاستشراق إلى عصر الخلافة الأموية، وتحديدا إلى القرن السابع الميلادي، حيث قام اللاهوتي يوحنا الدمشقي «الذي كان يعرف العربية واليونانية، والذي كان مثل أبيه وجده يعمل موظفا في إدارة الخليفة، (بمناقشة) الإسلام (...)،لكي يبين لزملائه المسيحيين أنه ليس أكثر من هرطقة جديدة يجب محاربتها»[1]، في محاولة منه لوقف مد الإسلام والحيلولة دون دخول المزيد من النصارى فيه، ولما لا إعادة إخراج المسلمين منه.**

ب–الرأي الثاني: أما الرأي الثاني فيصعد إلى ما بعد ذلك بقرن بل وبثلاثة قرون، فيحدد بدايات الاستشراق بالقرن الثامن وفي بعض الأقوال بالقرن العاشر الميلادي حيث ارتبط الغرب بالشرق ممثلا في الأندلس وحواضرها ومراكزها العلمية، فأقبل شبابه وطلاب العلم من فرنسا وإيطاليا وألمانيا وإنجلترا للدرس والتحصيل، وكان من رواد هذه الفترة "الراهب جربرت"* الذي تعلم العربية في قرطبة وعاد إلى بلاده ليحصل كرسي البابوية تحت اسم سلفستر الثاني[2].

ج–الرأي الثالث: ويرجع هذا الرأي الارهاصات الأولى للاستشراق إلى فترة الحروب الصليبية حيث كان اللقاء المباشر بين الشعوب الغربية غير المدربة التي ألقي في روعها أنّ المسلمين وثنيون متوحشون نهابون، غير متحضرين، يقطنون الخيام (الساراسين Saracens)، ناشرون للخراب أينما حلوا، غير أنّ اللقاء في ساحة المعركة سبب صدمة حضارية للإنسان الغربي فرضت عليه السعي لاستكشاف عدوه ومعرفته أكثر.[3]

---

[1]–زكاري لوكمان: تاريخ الاستشراق وسياساته، ترجمة: شريف يونس، 66.

[2]–ينظر: محمد أشرف علي المليباري: أهداف الترجمات الاستشراقية للقرآن الكريم ودوافعها، 9–11؛ و زكاري لوكمان: تاريخ الاستشراق وسياساته، (المرجع السابق)، 68؛ وأحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، 55؛ ونجيب العقيقي: المستشرقون، 120.

*–الراهب جربرت (جربر دي أوراليك) (سلفستر الثاني) (Jerbert de Oraliac) (938–1003م): من الرهبانية البندكتية (نسبة للقديس بندكت نورتشا) (المؤسسة عام 529م) قصد الأندلس وأخذ على أساتذتها حتى أصبح أوسع علماء عصره ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك، ولما ارتحل إلى روما سما على أقرانه وانتخب حبرا أعظم باسم سلفستر الثاني (999–1003م) فكان أول بابا فرنسي. ينظر نجيب العقيقي: المستشرقون، 120.

[3]–ينظر: إسماعيل علي محمد: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، (مرجع سابق)، 22–24؛ عبد الله بن عبد الرحمن الوهيبي: حول الاستشراق الجديد –مقدمات أولية–، 18؛ ومنظمة اليونسكو: الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره، (مرجع سابق)، 17–

د–الرأي الرابع: ويذهب أصحابه إلى أنّ بدايات الاستشراق ترجع إلى أول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللاتينية على يد روبرت ريتيننسيس (Robert Retenensis) من تشستر (Chester) انجلترا بمساعدة هرمان من دلماتيا (Herman of Damatia) بألمانيا ورجل آخر[1] قيل مسلم اسمه محمد ولم تعرف له كنية ولا لقب[2]، بأمر وإشراف من بطرس المبجل (Peter the Venerable) أسقف دير كلوني (Cluny) في فرنسا سنة 1143م[3].

ومهما كانت الآراء والمواقف حول بدايات الاستشراق، «فإنه يمكننا أن نقرر مطمئنين أنّ ظهور الاستشراق لم يتأخر عن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) إذ كان النشاط العلمي للمسلمين في الأندلس إبّان فتحهم لها مصدر ولادة الاستشراق، وسبب انطلاقته»[4]، وإن كانت هذه البداية كظاهرة ونشاط فكري للآخر في محاولة منه لاكتشاف حقيقة الفاتح (الغازي بالنسبة له)، ومعرفة نقاط ضعفه وقوته، لتتأخر التسمية في القرن السابع عشر كما سبق بيانه.

هذا كما تجدر الإشارة، وهو ما بدا بارزا فيما سبق بيانه وسيتأكد أكثر فيما سيأتي لاحقا، أنّ الاستشراق كنشاط فكري كانت الكنيسة محضنه الأول، ورجال الدين رعاته والمشرفون عليه، والسؤال المطروح هنا: هل الاستشراق كظاهرة فكرية استمر على وتيرة واحدة؟ هذا ما سيتبين لنا من خلال العنصر الموالي:

2–تطور الاستشراق:

لقد مرّ الاستشراق منذ نشأته الأولى إلى يومنا هذا بمراحل عديدة يمكن إيجازها في يأتي:

أ–المرحلة المبكرة:

---

18. ملاحظة يمايز الغربيون بين سكان الشرق الإسلامي وغربه بتسمية الشق الأول بالساراسين كما بين أعلاه، في يسمون سكان شمال إفريقيا والأندلس بالمور (Moors)، ينظر: زكاري لوكمان: تاريخ الاستشراق وسياساته، 70.

[1]–ينظر: عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين،1/110–111؛ ونجيب العقيقي: المستشرقون، 1/122–124.

[2]–عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين (المرجع السابق)،1/111.

[3]–ينظر: المرجع نفسه، 1/111؛ والعاني: الاستشراق والدراسات الإسلامية، 24.

[4]– إسماعيل علي محمد: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، (مرجع سابق)، 19.

وهي المرحلة التي نقل فيها رجال الكنيسة علوم الكنيسة والفلسفة اليونانية من حاضرة العرب (بغداد) وغيرها من البلدان العربية والإسلامية إلى روما حيث كانت الكنيسة في احتضار فكري، ويرجع الفضل في اطلاع الغرب على تراث أجدادهم إلى الترجمات التي قام بها المسلمون، ليعيد الغرب ترجمتها من العربية (لغة العلم آنذاك) إلى اللاتينية لغة الكنيسة يومها[1]، فباطلاع سريع على التتبع التأريخي الذي قام به نجيب العقيقي للفلول الأولى للمستشرقين نجد قائمة طويلة من رجال الكنسية ممن عنوا بجمع المخطوطة وأخذ العلوم من العالم الإسلامي ونقلها إلى بلدانهم، من أمثال هؤلاء: بطرس المحترم السابق ذكره، وعلى رأسهم (Jerbert de Oraliac) أو الحبر الأعظم (بابا الكنيسة الكاثوليكية بروما) سلفستر الثاني (ت1003م)، (Adelard of Bath) (ت 1135م) وينتمي هو الآخر –زيادة عن كونه فرنسيا كسابقه– إلى الرهبانية البندكتية، تبحر في العلوم الطبيعية للعرب ونقلها إلى اللاتينية، هذا إضافة إلى يهود متنصرين انخرطوا في الأسقفية المسيحية هم أيضا، من أمثال يوحنا بن داود الأسباني (منتصف القرن 12م) (Juan Abendaud)[2].

وبالمقابل نقل هؤلاء أفكارا مشوهة عن الإسلام والمسلمين، وادعوا بأنّ النبي صلى الله عليه وسلم كاردينال منشق عن البابوية طامعا في كرسيها، وما ادعاؤه النبوة إلا لفشله في الحصول عليها، وأنّ الإسلام مزيج مشوه منتحل من أصول مسيحية يهودية، أخذها النبي صلى الله عليه وسلم –حسب ادعائهم– من أساتذته أحبار اليهود ورهبان النصارى، وأن القرآن كتاب متناقض مع بعضه بعضا، وأن المسلمين مشكون يعبدون الأصنام؛ «وكانت معظم هذه الصور قد دونها القديس يوحنا الدمشقي الذي عاش في العصر الأموي في دمشق، وبعضها في سالة منتحلة نشها مؤلف يدعي أنه كان مسلما وارتد عن الإسلام وآمن بالمسيحية، اسمه عبد المسيح بن إسحاق، وكان المستشرقون من المبشرين المسيحيين قد أعادوا نشرها في القرن التاسع عشر بلندن –وذلك لتخدم أغراضهم في الطعن بالأمة (...) وتراثها المقدس.»[3]

---

[1]–سعدون الساموك: الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، 13–14.

[2]–ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون، (مرجع سابق)، 1/120–123.

[3]– سعدون الساموك: الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، (المرجع السابق)، 14–15.

وهكذا يمكن القول أنّ البذور الأولى للاستشراق كانت كنسية المرجعية، فرنسية–إسبانية الجنسية مع جذور ممتدة إلى المسيحية العربية.

ب–المرحلة العلمية الأكاديمية:

ويمكن تحديد بدئها من أطروحة ثيودور نُولْدَكَه (Theodor Noldeke) (1836–1931م) شيخ المستشرقين الألمان –خاصة وغيرهم عامة– للدكتوراه (وهو في سن العشرين) المعنونة ب: "تاريخ القرآن"، التي كتبها في الأصل باللاتينية، ليطبعها بعد حصوله على جائزة الأكاديمية الفرنسية بها مترجمة إلى الألمانية ومزيدة ومنقحة بالتعاون مع تلميذه شْفَالِي (Schwally)؛ وإلى نولدكه ترجع بدايات الاهتمام بالشعر الجاهلي ومدى صحته ممثلة في كتابه "أبحاث لمعرفة شعر العرب القدماء" الذي جمعت فيه مقالاته وأبحاثه حول الموضوع[1].

هذا، وقد أصبحت الدراسات الإسلامية في نهاية القرن 19م تخصصا قائما بذاته داخل حركة الاستشراق، وبرز في هذا المجال –فضلا عن نولدكه– المجري إجنس جولدتسيهر (Ignaz Goldziher)، والألماني يوليوس (ويلهاوزن) فلهاوزن (Julius Wellhausen)، والنمساوي/الانجليزي ألويس شْبْغِنَغْ (اشبنجلر) (Aloys Sprenger)، والمستشرق والسياسي الإيطالي ميكال أماري (Michele Amari) اللذان تقاسما جائزة أكاديمية باريس مع نولدكه، كما عرف هؤلاء في الوقت نفسه بعلماء الساميات لتخصصهم في الدراسات العبرة أو دراسة الكتاب المقدس[2]، فضلا عن الإسلام ومصادره.

ج–مرحلة ما بعد الاستشراق:

يعتقد بعض الباحثين أنّ الاستشراق استنفذ أغراضه وانتهى أثره، غير أنّنا نجد مفكرين آخرين ينكرون ذلك مظهرين الوجه الجديد للاستشراق الراهن، ومن هؤلاء إدوارد سعيد الذي يصرح قائلا: «ومن الصحيح أنّ الاستشراق مصطلح لم يعد يتمتع بالحظوة القديمة، فالمتخصصون

[1]–ينظر: عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، (مرجع سابق)، 2/595–598.

[2]–ينظر: عبد الحمن بدوي: المرجع نفسه،28/1، 51/1، 408/2، 595/2؛ وإسماعيل علي محمد: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، (مرجع سابق)، 26–27.

يفضلون استخدام مصطلح الدراسات الشرقية أو مصطلح دراسات المناطق، لسببين، السبب الأول هو أنّه يتسم بقدر أكبر مما ينبغي من الغموض والتعميم، والثاني هو أنّ من ظلال معانيه الإيحاء بالاستعلاء الذي كان المديرون الأجانب يتسمون به في عهد الاستعمار الأوروبي في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. ومع ذلك فما زالت الكتب تكتب وما زالت المؤتمرات تعقد حول "الشرق" باعتباره الموضوع الرئيسي، وهي التي تقيم حججها على ما قاله المستشرقون القدماء أو المحدثون باعتبارهم موضع الثقة. ومعنى هذا أنّ الاستشراق، حتى ولو لم يكتب له البقاء بالصورة القديمة، لا يزال حيا في الحياة الأكاديمية من خلال ما أرساه من مذاهب وقضايا فكرية بشأن "الشرق" و"الشرقي".»[1]

وعليه، فإنّ الاستشراق باق ما بقي الغرب يخصص أبحاثا ودراسات عن الشرق والإنسان الشرقي وكل ما يتعلق به متخذا تراث أسلافه –الاستشراق الكلاسيكي– مصدرا وسندا له يرى من خلاله موضوع دراسته؛ والباحثون في هذا الميدان اليوم غالبيتهم يرفضون تسمية المستشرق لما تحمله هذه الكلمة من إرث سلبي ارتبط بالاستعمار وبالنظرة الدونية والمشوهة التي وَسَمت بها دراسات تلك المرحلة العالم الشرقي، لذا نجدهم يؤثرون تسميات أخرى بعضها يوحي بالامتداد كدراسات الشرق الأدنى والأوسط، والدراسات العربية، أو مستعرب (كما فضل المستشرق الفرنسي أندريه ميكيل أن يوصف)، أو مختص بالإسلاميات [2]؛ وبعضها الآخر ينكر تماما علاقته بالاستشراق والمستشرقين، وإنما يفضل أن يوسم بميدان دراسته، خصوصا بعدما أصبح الحقل الاستشراقي الجديد بعمومه جناحا من العلوم الاجتماعية والإنسانية كما يقول جاك بيرك[3].

إنّ الاستشراق الجديد تخطى النظرة اللتقليدية للمستشرقين القدامى القائمة على أنّ هذا الميدان هو حكر على فقهاء اللغة (الفيلولوجيين)، ومحترفي اللغات الشرقية الكلاسيكية: كالعربية، والتركية، والفارسية؛ فضلا عن اتسامه بالطابع التاريخي من ارتكازه على فك رموز المصادر الأولية للشرق بتصنيف مخطوطاته، وطبع النصوص وترجمتها والتعليق عليها سعيا لرسم أطر تاريخية

---

[1]–إدوارد سعيد: الاستشراق (مرجع سابق)، 44–45.

[2]–عبد الله بن عبد الرحمن الوهيبي: حول الاستشاق الجديد مقدمات أولية، 81.

[3]–المرجع نفسه، 82.

وتأسيس علم تاريخ واقعي[1]؛ في حين أنّ الاستشراق الجديد يتجاوز كل ذلك ليتسع من حيث الاختصاص إلى كل العلوم الاجتماعية والإنسانية: كعلم الاقتصاد، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، والعلوم السياسية، وعلم الألسنيات، وعلم الأعراق (الإثنولوجيا)، فالاستشراق اليوم لم يعد يطلع به الأكاديميون المتخصصون فقط بل أصبح يشارك في صياغة خطابه الصحفيون والكتاب والباحثون والخبراء والمدونون، والناشطون في الحقول الفكرية والإعلامية، وحتى حقول الدراسات الأمنية؛ كما أنه تجاوز المنهج الفيلولوجي والتاريخي إلى المنهج الأنثروبولوجي والمنهج الفيلولوجي المطوّر حتى وهم يتناولون موضوعا كلاسيكيا كعلم اللاهوت، وهذا ما نلمسه من طبيعة الأبحاث التي أصبحت تركز على المرأة الشرق أوسطية مثلا ودورها في المجتمع، حيث نشر في الفترة ما بين 2000–2009م/1421–1430هـ 170 كتابا و670 مقالا يتناول المرأة في الشرق الأوسط، وعقد أول مؤتمر استشراقي (إسلامولوجي) ذو اتجاه سوسيولوجي معلن في بروكسل عام 1961م/1381هـ، ثم تلاه لقاء علمي يناقش التاريخ الاقتصادي للعالم الإسلامي في لندن عام 1967م/1387هـ، أما إذا عدنا إلى الأبحاث والدراسات الاستشراقية المعاصرة فإننا نجد حرص الباحثين المعاصرين على تجاوز الاتجاهات التقليدية من خلال إدخال تطبيقات جديدة في ميدان دراسة وتحليل الفكر والروح الدينية، كأبحاث الظاهراتية أو الفينومينولوجية عند واردنبرغ، وكذلك سيميولوجيا الخطاب الديني عند توشيهيكو إيزوتسو[2].

ورغم كل هذه التطورات التي لحقت بالاستشراق المعاصر إلاّ أنّ موقف الباحثين والمهتمين بهذا الميدان ينقسم إلى تيارين أساسين: إذ منهم من يطالب باستمرار الاستشراق الكلاسيكي باهتماماته القديمة، وحجتهم في ذلك أنّ الاهتمام بالقضايا السياسية المعاصرة يتطلب اتخاذ موقف منها، وهو أمر يتركه المستشرقون لرجال السياسة؛ بينما يطالب الشباب أن يُهتَم في الاستشراق المعاصر ببحث العلاقات الإسلامية المسيحية المعاصرة، وهذا ما حدث في مؤتمر المستشرقين الألمان الذي عقد في مدينة (توبنجن صيف 1982م) [3].

---

[1]– عبد الله بن عبد الرحمن الوهيبي: حول الاستشاق الجديد مقدمات أولية (مرجع سابق)، 44، 80.

[2]–ينظر: المرجع نفسه، 44–123.

[3]–مازن المطبقاني: هل انتهى الاستشراق حقا؟، 283.

وبنظرة استقرائية يمكن تحديد مجموعة من معاقل الاستشراق المعاصرة، منها: جامعة برتستون التي تأسست سنة 1926م، معهد الشرق الأوسط الذي تأسس عام 1946م وكان الهدف منه ملء الفراغ المعرفي لدى الأمريكيين بالمنطقة، ومعهد بروكنجز، ومعهد الولايات المتحدة، وجامعة جورجتاون، وجامعة أنديانا بلومنجتون، فضلا عن المؤسسة غير الأكاديمية كجمعية دراسات الخليج التي تأسست سنة 1990م في أمريكا، ورابطة الشرق الأوسط تأسست عام 1990م، ومؤسسة راند (RAND)، ومعهد البحوث والدراسات حول العالم العربي والإسلامي (Institut de Recherches et d'Etudes sur le Monde Arabe et Musulman) وهو من أنشط وأهم مراكز البحث العلمي حول العالم العربي في فرنسا، وغيره من المؤسسة المهتمة والمختصة بالشرق الأوسط والعالم العربي التي تقوم بمهام المستشرقين مستعينة بالتقنية الحديثة[1].

[1]–المرجع نفسه، 284.

المحاضرة 3: أهداف الاستشراق

تمهيد:

لا تتم معرفة حقيقة الاستشراق إلا بالوقوف على أهدافه وغاياته، والتي يمكن تقسيمها على نحوين كما سيتبين فيما سيأتي:

أولا: الأهداف العامة: إنّ حركة الاستشراق ذات أهداف متعددة يمكن إجمالها في هدفين رئيسين هما: هدف بنائي، وهدف هدمي:

1-أهداف بنائية:

وتتمثل في إقبال المستشرقين على التراث الإسلامي جمعا ودراسة وتحقيقا ونشرا وترجمة بقصد الاستفادة العلمية من علوم ومعارف الأمة الإسلامية التي وصلت أعلى سلم التقدم العلمي عند قيام حركة الاستشراق، حيث كان تَحرُّكُ البعثات العلمية إلى الأندلس بداية لتلك الحركة التي كانت الأساس لقيام النهضة الأوروبية الحديثة، ولم تكن هذه الاستفادة في جوانب مادية فقط، وإنّما شملت أيضا جوانب عقدية تمثلت في محاولة التعرف الدقيق على العقيدة التي كانت سببا لقيام هذه الحضارة، ولذلك تخصص عدد كبير من الأوروبيين في دراسة القرآن الكريم من جميع جوانبه، وفي السنة النبوية والفقه الإسلامي، وغيرها من المجالات، ولكن استفادتهم توقفت عند الحد المعرفي[1] ولم تتجاوزه إلى الجانب الاعتقادي.

2-الهدف الهدمي:

ويراد به هدم أواصر الترابط بين إنسان هذه الحضارة وبين عقيدته، وذلك من أجل ألاّ تتجدد هذه الحضارة التي أُريد لها الاندثار، ليخلو المجال لحضارة الغرب المادية، وتحقيقا لهذا الهدف تتابعت الدراسات غير العلمية التي قدمت التراث الإسلامي في شكل مشوه اعتمد على

[1]-محمد فتح الله الزيادي : الاستشراق، أهدافه ووسائله –دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، 33.

الحذف والتغيير وسوء الاستنتاج، وتفسير الوقائع على غير حقيقتها، وحتى على الكذب والتزوير المتعمد أحيانا[1].

ثانيا: الأهداف التفصيلية[2]:

الهدف	مظاهر تطبيقه
الهدف الديني (رأس بقية الأهداف)	–محاربة الإسلام والبحث عن نقاط ضعفه والزعم أنه مأخوذ من اليهودية والنصرانية –حماية النصارى من الإسلام من خلال: حجب حقائقه عنهم، وتحذيرهم من خطره عليهم. –حملات التنصير بين المسلمين بتشكيكهم في دينهم، وهو ما حملته قرارات مؤتمر فيينا الكنسي سنة 1312م.
منع انتشار الإسلام في أوروبا وغيرها حفاظا على سلطان الكنيسة ومغانمها	
اقتباس أفكار إيمانية من الإسلام لتثبيت أقدام الكنيسة في بلادها بفكر ديني معقول	–مسألة اختيار الإنسان في أفعاله الإرادية –مسألة القضاء والقدر –لزوم التداوي من الأمراض –تفسير الأقانيم على أنها صفات وإيراد دلائل عقلية على الإيمان بالله مأخوذة من الكتاب والسنة وكتب المتكلمين القدامى.
جعل الدراسات الاستشراقية مصدرا	–لتعليم الإسلام للمسلمين –للدراسات عن الشرق عامة
تمزيق الوحدة اللغوية	–الدعوة إلى اللهجات واللغات العامية

[1]–المرجع نفسه، 34.

[2]–ينظر: عمر بن إبراهيم رضوان: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره –دراسة ونقد–، 38/1 وما بعدها.

في الأمة حرصا على تمزيق عقيدتها ووحدتها	
إضعاف الشخصية الإسلامية	–بالاحتيال والتزوير في تاريخ الإسلام –محاولة تحطيمها بالحرب النفسية من خلال إظهار ثغرات التاريخ الإسلامي وتضخيمها: كالفتن مثل معركة الجمل، وحركة القرامطة والحشاشين؛ إعطاء التاريخ الإسلامي تفسيرا ماديا لنزع جمالية الإيمان عنه.
تحطيم الوحدة الفكرية للمسلمين وإبدالها بالبلبلة الفكرية	–نشر المذاهب الهدامة في العالم الإسلامي. –التشكيك في صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم. –الحط من قيمة المسلمين وتضخيم قيمة الحضارة الغربية.
تأييد الغزو الاستعماري للبلاد الإسلامية والعمل على تحطيم المقاومة	–نظرية الأجناس البشرية: آري وسامي، لتكريس الاقتناع النفسي لدى المسلمين أن التخلف فطرتهم.
تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري	–الادعاء أنّ المسلمين مجرد ناقلين للحضارة اليونانية والرومانية. –عرض المحاسن في إطار الانتقاص لتشكيك المسلمين في تراثهم.
التنفير من العودة إلى الخلافة الإسلامية	–تشويه صورة الخلفاء والحكام المسلمين حال ازدهار الحضارة الإسلامية: التشكيك في وثيقة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أقباط مصر ومقولاته للحفاظ على حقوق الإنسان، تشويه سيرة هارون الرشيد، تشويه الخلافة العثمانية. –محاربة المصلحين في البلاد الإسلامية لدرجة القتل أحيانا.

المحاضرة 4: علاقة الاستشراق بالتنصير والاستعمار

تمهيد:

رأينا فيما سبق أنّ أهداف الاستشراق عديدة، لكن من أهمها الهدف الديني، وهدف القضاء على الحضارة العربية الإسلامية والعمل على عدم قيامها مرة أخرى، ويتبين هذا أكثر من خلال العناصر الآتية الباحثة في علاقة الاستشراق بكل من التنصير والاستعمار، كما سنتطرق إلى علاقة اليهود بالاستشراق، ودورهم فيه:

أولا: علاقة الاستشراق بالتنصير:

1-تعريف التنصير: التنصير ويطلق عليه أصحابه وبعض الكتاب حتى من المسلمين مسمى التبشير، وعرفه الجليند بقوله: «ذلك الجهد الذي يبذله المتخصصون من النصارى في بث تعاليم الإنجيل بين المسلمين وغيرهم بهدف تنصيرهم وتحويلهم من الإسلام إلى النصرانية واتباع تعاليم الإنجيل بدلا من القرآن والولاء للكنيسة بدلا من المسجد»[1]؛ ويقوم بهذا النشاط كل النصارى باختلافهم فرقهم وطوائفهم.

2-مظاهر التنصير: يهدف العمل التنصيري إلى تحقيق على الأقل أحد النتائج الآتية:

أ-إخراج الناس من دينهم ونقلهم إلى النصرانية.

ب-تشكيك الناس في دينهم -مع عدم الدخول في النصرانية-.

ج-بقاء الناس في دينهم صورة، مع العمل على تغيرهم اجتماعيا وسياسيا[2] بما يتوافق ومصلحة الغرب وبعيدا عن تعاليم الإسلام.

3-صلة الاستشراق بالتنصير: يجتمع الاستشراق والتنصير في جوانب، ويفترقان في أخرى، يمكن إجمالها فيما يأتي:

---

[1]-محمد السيد الجليند: الاستشراق والتبشير: قراءة تاريخية موجزة، 96.

[2]-محمد أمين بني عامر: المستشرقون والقرآن الكريم، (مرجع سابق)، 41.

أ–أوجه الاتفاق بين الاستشراق والتنصير:

أ–1–وحدة النشأة: وتتجلى في الأساتذة الأوائل للمستشرقين الذين كانوا في الأصل منصرين، من أمثال: يوحنا الدمشقي، الذي ألف كتابا عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم سماه "حياة محمد" ادعى فيه أنه أخذ دينه من أحد أتباع أريوس الفرقة النصرانية الموحدة، واتهم فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بشغفه بزينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها وهي ما تزال زوجة لمولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه، وهو ما تلقفه عنه المستشرقون بعد ذلك جيلا بعد جيل، ليأتي بعده بطرس المبجل الذي سبقت الإشارة إليه كذلك آمرا ومشرفا على ترجمة القرآن الكريم لتشويهه والطعن فيه، فما إن يبلغ منتصف القرن 12م حتى تكون قد صدرت أربع ترجمات قرآنية قدم لها كلها هذا القس، ولم يقتصر الأمر على القرآن الكريم، بل ترجم إلى اللاتينية كذلك كتب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وتاريخ الخلفاء الراشدين، والأمويين، إلى عهد يزيد بن معاوية ومقتل الحسين بن علي رضي الله عنه، وهو الطريق ذاته الي سلكه المستشرقون[1] الأكاديميون كذلك، إذ كما سبق وأن رأينا أن المستشرق في البداية كان هو ذاته رجل دين.

فالاستشراق والتنصير حركتان خرجتا إلى حيز الوجود بعد فشل الحروب الصليبية التي دانت قرنين من الزمن، لتكونان بديلا ناعما للمواجهة الدينية والحضارية بين الشرق والغرب[2]؛ ويرجع تركيز المنصرين والمستشرقين على القرآن الكريم وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم والخلافة الراشدة والأموية إلى أنّ هذه العناصر تمثل اللبنة الأولى لتكوين الإسلام والإمبراطورية الإسلامية فيما بعد التي اكتسحت العالم، ليستنبطوا منها عناصر القوة والضعف التي يستطيع بعد ذلك من خلالها تحقيق أهدافهم التي سيأتي ذكرها لاحقا.

أ–2–وحدة الهدف: اتحد هدف الاستشراق مع التنصير لأداء الدور الذي أعده لهما الاستعمار، وتوزعت الأدوار بينهما فكان الاستشراق يعمل على تسميم عقول المثقفين، فيما اختص التنصير بإفساد عقول العامة بكل أنواع الإغراء والتضليل، والغرض من كل ذلك: تشويه صورة

---

[1]– محمد أمين بني عامر: المستشرقون والقرآن الكريم، (مرجع سابق)، 43–44.

[2]– المرجع نفسه، 48.

الإسلام، الطعن في مصادره، وتنفير المسلمين والمسيحيين على السواء منه، للحيلولة دون وحدة المسلمين بإثارة الفتن بينهم[1].

أ-3-الاتحاد في العمل: عمل المستشرقون بوصية القديس لويس التاسع التي حض فيها على ضرورة تشويه صورة الإسلام كطريق وحيد للتغلب على المسلمين، وكان المستشرقون الذين عملوا في التنسيق بين المستعمرين والأهالي العون الأكبر للمنصر الشهير زويمر (Zewemer)، والأمر ذاته لأبحاث هذا الأخير التي كانت مادة خصبة لدى المسشترقين استعانوا بها على تحقيق أهدافهم[2].

كما قدم الاستشراق للتنصير خدمة عظيمة بدراسته للتراث، وتركيزه على الشخصيات القلقة (كما وصفها ماسينيون) في الفكر الإسلامي أمثال الحلاج، وأبي نواس، وبشار، وغيرهم؛ هذا فضلا عن تحقيقهم للكتابات الضعيفة والتي تحمل الكثير من الوضع وكتب القصاص كالأغاني، وألف ليلة وليلة، والمصاحف ليتصيدوا منها الشبهات التي يطعنون بها في الإسلام[3].

اشتراك المستشرقين في المؤتمرات التنصيرية الدولية التي بلغ عددها في الفترة (1873-1964م) ستة وعشرين مؤتمرا، كطبعت ونشرت أبحاثها وتوصياتها لتكون بمثابة الدليل لأهداف الطرفين ونشاطاتهم، وكان طبعا موضوعهم الرئيس الإسلام، ومن نماذج هذه المؤتمرات، مؤتمر أدنبرج الذي عقد في إنجلترا عام 1910م، وكان من أهم توصياته:

«-تأسيس مدرسة تبشيرية مشتركة بين كل الفرق البروتستانتية وتكون هذه المدرسة خاصة بتعليم مبشري الدول الإسلامية، وتقبل النساء والرجال، وتعلم فيها اللغة العربية، وتاريخ الأوضاع الإسلامية والأمور الاجتماعية التي اقتبسها المبشرون من الإسلام.

-تأسيس مكتبة تحوي أمهات الكتب العربية وغير العربية المتعلقة بالإسلام.»[4]

---

[1]- المرجع نفسه، 45، 44.

[2]- محمد أمين بني عامر: المستشرقون والقرآن الكريم، (مرجع سابق)، 43-44.

[3]-المرجع نفسه، 48.

[4]- المرجع نفسه،46-47.

هذا، ولم يقتصر الأمر على المؤتمرات ولا النشاط الميداني، بل امتد التعاون بين الأطراف الثلاثة (استشراق، تنصير واستعمار) ليشمل المؤسسات التعليمية من مدارس، ومعاهد وجامعات، ومن نماذج الجامعات التي كانت محضنا للمنصرين والمستشرقين، وكانوا فيها أقطاب التدريس ووضع البرامج، نجد كلا من: الجامعة اليسوعية، والجامعة الأمريكية، وكلاهما في بيروت، والجامعة الأمريكية في كل من القاهرة واسطنبول، والكلية الفرنسية في لاهور، وكلية غوردن في الخرطوم.[1]

أ-4-نماذج لمستشرقين مبشرين: ومن أمثلة الغربيين الذين جمعوا بين نشاطي التنصير والاستشراق نجد كلا من: المستشرق (Kennet Karge) الأمريكي، شديد التعصب ضد الإسلام، درّس في الجامعة الأمريكية في القاهرة، ورئيس قسم اللاهوت المسيحي في هارتفور.

أيضا (Massignon. L) أكبر مستشرقي فرنسا الداعي الروحي للجمعيات التنصيرية في مصر، مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال أفريقيا[2].

ب-أوجه الاختلاف بين الاستشراق والتنصير: حتى وإن كانت نقاط الاشتراك كثيرة بين الاستشراق والتنصير إلا أنهما يختلفان في الوسائل والمناهج، ومن أبز نقاط الاختلاف بينهما نذكر ما يأتي:

ب-1-اختلاف الوسائل: يختلف الاستشراق والتنصير في الوسائل التي يسخرانها من أجل تحقيق غاياتهما، حيث يعتمد الاستشراق على الجانب العلمي، من كتب، ومحاضرات، وندوات، ومزتمرات، ومقالات، موجها نشاطه نحو العلوم الإسلامية بكل فروعها وما يتعلق بها كلغة، وتاريخ، وفلسفة، فضلا عن كل مظاهر الحضارة الإسلامية وعادات وتقاليد المسلمين بحسب مناطق تواجدهم، كما يستخدم المستشرقون وسيلة أخرى وهي العلاقات من خلال تكوين صداقات مع عناصر البعثات العلمية في الغرب، لتثمر هذه الصداقات خدمة مصالح الغرب عند عودة هؤلاء إلى

[1]-المرجع نفسه، 44-45.

[2]- محمد أمين بني عامر: المستشرقون والقرآن الكريم، (مرجع سابق)، 49.

بلدانهم؛ في حين يستغل التنصير لتحقيق أهدافه الجانب الاجتماعي، فيركز على بناء المستشفيات والمدارس، والملاجئ، وتوفير الأدوية والطعام للمحتاجين[1].

ب–2–اختلاف المستَهدَف: وكما يختلف الاستشراق والتنصير في الوسائل التي يعتمدانها، فإنّهما يتقاسمان كذلك الميدان من حيث الفئات المستهدفة بنشاطهما، حيث يوجه الاستشراق خابه نحو الفئة المثقفة بعد دراسة ميولها والتعرف على مزاجها النفسي، إضافة إلى المشتغلين في ميدان السياسة ومراكز القرار؛ أما الفئة المخاطبة من قبل المنصرين فتتمثل في الطبقات الدنيا والفقيرة من المجتمع، التي تفتقر للثقافة والتعليم، بل للقمة العيش وأبسط ضروريات الحياة[2].

ب–3–اختلاف المنهج: أما من حيث المنهج فإنّ المنصر يتجنب الطعن المباشر في الإسلام، بل يبدأ حواره مع المسلمين ببحث جوانبهم الاجتماعية التي تشكل نقطة ضعف لديهم عارضا مساعدتهم فيها لكسب ثقتهم وعواطفهم؛ في حين يوجه المستشرق طعنه المباشر إلى الإسلام وكتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم بحجة البحث العلمي والموضوعية العلمية، ويسعى لبث الشبهات حول الإسلام، وإحياء كل فكرة من شأنها أن تسيء إليه أو تحدث فرقة في الأمة[3].

ثانيا: علاقة الاستشراق بالاستعمار:

لقد كان الاستشراق أحد الأطراف الفاعلة في الهجمة الاستعمارية التي قام بها الغرب على العالم الإسلامي، بين ممهد له ومساهم فيه بشكل مباشر، وفيما يأتي أهم مظاهر العلاقة التي ربطت هذه الحركة التي يفترض بها أن تكون فكرية علمية موضوعية، وبين الاستعمار:

1–الاستشراق تمهيد للاستعمار: إنّ أشه مقولة للاستعمار هي "فرق تسد"، وقد سخّر لأجل تحقيقها كل الوسائل الممكنة والمفتعلة، وإذا كانت الأنثروبولوجية هي أحد العلوم التي اخترقها المستشرقون اليوم، واتخذوا منها منهجا لتأكيد أبحاثهم، فإنّها كانت أحد أهم أسلحتهم

[1]–محمد السيد الجليند: الاستشراق والتبشير قراءة تايخية موجزة، (مرجع سابق)، 102.

[2]– محمد السيد الجليند: الاستشراق والتبشير قراءة تايخية موجزة، (مرجع سابق)، 103.

[3]–المرجع نفسه، والصفحة.

الفتاكة التي سخروها لخدمة الاستعمار من خلال ما عرف بعلم الأجناس، أو طبيعة الشعوب، حيث قسموا البشرية إلى أجناس ادعوا نسبة كل جنس إلى ابن من أبناء نوح عليه السلام (وهذا تبع للتوراة وما جاء فيها)، فكان هناك الساميون –وهم العرب واليهود–، والحاميون، والآريون (الأوروبيون اليونان والرومان وخلفهم اليوم)، وجعلوا هذا الأخير هو أرقى الأجناس وأعظمها من كل النواحي، في حين وسم الساميون بكل منقصة، فتحدثوا عن عقلية الغرب الجامعة، وعقلية الشرق المفرقة؛ ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، إذ عمدوا إلى الشعوب الإسلامية بدؤوا بتفتيتها (وكان هذا هو الغرض الحقيقي من توظيف هذا العلم)، فادعوا بوجود فوارق بين الكرد والعرب في العراق مثلا، وبين العرب والبربر في شمال أفريقيا، وبين سكان الشمال وسكان الجنوب في السودان؛ ولم يكتفوا بهذا، بل سعوا بعد ذلك لإحياء التراث الوثني في العالم الإسلامي، فعملوا على إحياء الفرعونية في مصر، والآشورية في العراق، والفينيقية في سوريا ولبنان وفلسطين، لينقصوا من الاعتزاز بالانتماء إلى الإسلام مما يسهل لهم بعد ذلك كسر وحدة الإنتماء للشعوب الإسلامية.

وبعد كل هذه الجهود خرجوا بادعاء مفاده أنّه ليس هناك إسلام واحد، بل إسلامات، حيث تلقى كل شعب، وكل أمة الإسلام وكيفوه ومزجوه بما يتلاءم وخلفيتهم الفكرية والثقافية، لذا نجد اليوم إسلاما صحراويا بدويا قبائلي عشائري في شبه الجزيرة العربية، وإسلاما هنديا، وإسلاما أفريقيا، وإسلام مصر وإسلام تركيا، وإسلام أندونيسيا والملايو، وإسلام البربر في شمالي أفريقيا، وغيره من الإسلامات، حيث كل شعب وفهمه وثقافته التي طبعها على الإسلام، فالرسول واحد، والكتاب واحد، والإسلام متعدد!!!، وطبعا هذا يمس الأصول والفروع عندهم لأنهم لا يعترفون أصلا بشيء اسمه الأصول؛ كل هذا سعيا منهم للتفرقة ليسهل الاستعمار بعد الشتات مستغلين في ذلك نظرية الأجناس –كما سبق بيانه والتاريخ–، وكذا النظرة الغربية للدين حيث المسيحية والالتزام بها قائم على التجربة الشخصية، فهي دين فردي أو دين شخصي، «حيث يتكيف حسب الفرد ويتأثر بشخصه، أي أن المسيحية ليست دينا يتكون من مبادئ، وإنما هي شعور فردي وإحساس شخصي بالأصول المقدسة»، وقد استغل المستشرقون هذا التصور وأسقطوه عمدا أو جهلا على الإسلام والمسلمين للقضاء على وحدتهم كما سبق بيانه.[1]

---

[1]–ينظر: محمد إبراهيم الفيومي: الاستشراق رسالة استعمار، 233؛ ومحمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، 46–47؛ ومصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون، 23.

2–الاستشراق طلائع الاستعمار: يعد الاستشراق طلائع الغرب التي يعتمد عليها في البلاد التي يسعى لاستعمارها، إذ كان تعلّم اللغة العربية واللهجات المحلية، وغيرها من لغات الشرق بمثابة المفاتيح التي تمكنهم من التواصل مع الشعوب المستعمَرة أو المزمع استعمارها والتقرب منها وفهم خصائصها بالتعرف على أفكارها، وإثارة المنازعات بينهم حتى تقع البلاد فريسة بين مخالب الاستعمار.

ومن هنا، كان لابد للجاسوس أن يلبس ثوب العالِم بلغة البلاد، وأن يصطنع البحث العلمي، وأن يسعى لخلق صلة بين الأهالي لتفرقتهم بدعوى الحكمة والمساعدة، ثم بينهم وبين جيوش الاستعمار إذا دخلت بلدانهم[1]؛ والنماذج المستشرقين الجواسيس عديدة في التاريخ، لعل أشهرها الشهير بلورانس العرب، والمستشرقة والتي كتبت رواية حولها وعرفت بخاتون بغداد، وإيزابيل إبرهارت التي قدمت نفسها على أساس أنها مغامرة ومستكشفة وعاشقة للصحراء فانخدع العرب بشجاعتها إذ لم يروا امرأة تغامر مثلها من قبل، والحقيقة أنها كانت تؤدي مهام جاسوسية خدمة [2].

3–مظاهر الصلة بين الاستشراق والاستعمار: مظاهر الصلة بين الاستشراق والاستعمار عديدة ومتنوعة نقتصر هنا على ذكر نماذج منها:

أ–تأسيس كليات اللغات الشرقية: في عواصم أوروبا مثل: لندن، وباريس، وليدن، وبرلين، وغيرها؛ وظهرت فيها أقسام خاصة لدراسة اللغة العربية، وبعض اللغات الإسلامية كالفارسية، والتركية، والأردية؛ وكان الغرض من تأسيس هذه الكليات تزويد السلطات الاستعمارية بخبراء في الشؤون الإسلامية، وقد عمل التحاق الطلاب المسلمين بهذه الكليات على تأثر أفكارهم بما ألقاه المستشرقون عليهم[3].

ب–تأسيس المؤسسات العلمية في البلاد الإسلامية: حيث أسست الدول الاستعماية هذه المؤسسات في البلاد الإسلامية، والتي تخضع لنفوذ المستشرقين في الظاهر، وفي حقيقتها تعمل

---

[1]–محمد أمين بني عامر: المستشرقون والقرآن الكريم، (مرجع سابق)، 50.

[2]–ينظر: شاكر نوري: خاتون بغداد، رواية؛ و

[3]– محمد أمين بني عامر: المستشرقون والقرآن الكريم، (مرجع سابق)، 51.

على خدمة الاستعمار والتنصير، ومن أمثلة ذلك: المعهد الفرنسي، والجامعة الأمريكية في مصر، والجامعة الأميركية، والجامعة الياسوعية في لبنان[1]، ومدرسة الآداب التي أنشأت في الجزائر من قبل المستشرقين الفرنسيين سنة 1879م التي تسمت بعد ذلك بكلية الآداب، والتي اطلع المستشرقون فيها بترجمة التراث بجميع ألوانه: الأدبي، والفني، واللغوي، والتاريخي، والفقهي، حيث عمل المستشرقون الفرنسيون وأعوان الاستعمار على إخضاع المعاملات الإسلامية للقانون الفرنسي، فقاموا بإلغاء المحكمة الحنفية وترجمة الفقه المالكي وتكوين قضاة صلح فيه من الفرنسيين وبعض أعوانهم من المسلمين، وامتدت أيديهم إلى أخص خصائص الجزائريين وهي مسائل الزوج والطلاق والميراث التي عملوا على إخضاعها لقوانينهم؛ وكان من أشهر المستشرقين العاملين في مجال الترجمة في عهد دومينيك لوسياني المستشرق مارسل موران أستاذ الشريعة الإسلامية والعرف البربري بالجامعة المركزية بالجزائر العاصمة الذي ترأس لجنة تدوين الفقه وتأسيس "مجلة الأحكام الإسلامية" التي استمر صدورها إلى غاية عام 1913م؛ كما قام الطبيب والمستشرق الفرنسي بيرون بترجمة مختصر الخليل في الفقه الإسلامي، وكتب عن الطب النبوي والطب العربي، وقد كافأته السلطات الاستعمارية على مجهوداته فنصبته مقررا في المدارس الرسمية والمحاكم في الجزائر المحتلة[2].

ج–الاستشراق والسفارات الأجنبية: حيث لا تكاد توجد سفارة من سفارات هذه الدول الاستعمارية في دولة من الدول الإسلامية إلاّ ويوجد فيها مستشرق أيا كانت رتبته بين رجال السفارة والعاملين بها، حيث تمّ تعيين كثير من المستشرقين كخبراء ومستشارين في وزارات الخارجية ببلادهم مثل: المستشرق اليهودي المجري جولد تسيهر، وماسينيون، وغيرهما، وقد عين برنارد لويس (Bernard Lewis) في الخارجية الانجليزية في سنة 1941م[3]، ومستشار لجورج بوش الابن مختص في الشرق الأوسط في عهدتيه الأولى والثانية.

---

[1]–المرجع نفسه، والصفحة.

[2]–جمال كركار: ترجمة المستشرقين للنص الديني –فترة الإحتلال الفرنسي نموذجا–، مجلة معارف، السنة 3، ع6، 251–253.

[3]– محمد أمين بني عامر: المستشرقون والقرآن الكريم، (مرجع سابق)، 52–53.

4–اعتراف بعض المستشرقين بالصلة بين الاستشراق والاستعمار: اعترف بعض المستشرقين بالصلة القائمة بين الاستشراق والاستعمار، حيث قام الاستعمار بتجنيد مجموعة من المستشرقين لخدمة أغراضه وأهدافه في البلاد المستعمَرة، فنشأت رابطة وثيقة بين الاستعمار والاستشراق، وهو أورث بعض المستشرقين المنصفين الخجل مما فعله زملاؤهم، ومن هؤلاء المستشرق الألماني المعاصر استفان فيلد (Stephan Wild) الذي قال: «والأقبح من ذلك أنّه توجد جماعة يسمون أنفسهم مستشرقين سخَّروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين، وهذا واق مؤلم لابد أن يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة.» [1]

وإذا كان هذا شأن المستشرقين في صلاتهم بالتنصير والاستعمار، وكان منهم مستشرقون يهود كأمثال جولد تسيهر، فلماذا لم نسمع في الدراسات المؤرخة للاستشراق بمسمى الاستشراق اليهودي؟

ثالثا: اليهود والاستشراق:

1–أسباب اندماج اليهود في الحركة الاستشراقية الأوروبية:

يشير محمد حمدي زقزوق إلى أنّ اليهود لم يلجوا الحركة الاستشراقية بصفتهم اليهودية، وإنّما عملوا داخلها بوصفهم مستشرقين أوروبيين حتى لا يعزلوا أنفسهم، وبذلك كسبوا مرتين:

أ–كسبوا أولا فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية كلها.

ب–وكسبوا تحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام، وهي أهداف تلتقي مع أهداف غالبية المستشرقين النصارى[2].

والحقيقة أنّ هذا الموقف من قبل المستشرقين اليهود والمتمثل في عدم التصريح بيهوديتهم كمستشرقين ليس على إطلاقهم في العصر الراهن، إذ نجد اليوم ما يعرف بالاستشراق الإسرائيلي، وذلك بعدما ضمن اليهود والصهاينة اليوم مكانة وسيطرة في العالم الغربي، وتمكنوا من إيجاد كيان

---

[1]– محمد أمين بني عامر: المستشرقون والقرآن الكريم، (مرجع سابق)، 53.

[2]–ينظر: محمد حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، 52–53.

مغصب لهم أسموه دولة إسرائيل، ومن أمثلة هؤلاء نجد المستشرق اليهودي الصهيوني –جزائري المولد إسرائيلي الجنسية والموطن حاليا– أندريه شوراكي.

2–الأسباب الحركة الاستشراقية اليهودية:

وأمّا عن أسباب دخول اليهود في الحركة الاستشراقية فقد أشار محمد البهي إلى أنّها تتلخص في الأسباب الآتية:

أ–الأسباب الدينية:

أ–1–محاولة إضعاف الإسلام.

ب–1–التشكيك في قيَمِ الإسلام بإثبات فضل اليهودية عليه، وذلك بادعاء أنّ اليهودية هي مصدره الأول.

ب–الأسباب السياسية: ولخصها في خدمة الصهيونية فكرة أولا ثمّ دولة ثانيا[1].

3–نماذج من المستشرقين اليهود:

ومن أبرز المستشرقين اليهود نجد كلا من جلود تسيهر (Goldziher) اليهودي المجري، وتلميذه شاخت (Schacht)، والانجليزي ذو الأصول اليهودية مرجليوث (D.S.Margoliouth) الذين تحرص كبرى الجامعات الغربية على أن تظلّ مؤلفاتهم المراجع الأصلية لطلاب الاستشراق بين الغربيين والراغبين في حمل شهادة الدكتوراه عندهم من العرب المسلمين، وهم لا يوافقون على رسالة لطلب الدكتوراه يكون موضوعها إنصاف الإسلام، وكشف دسائس أولئك المستشرقين (يقول مصطفى السباعي)؛ ويضيف قائلا: «ويلاحظ أنّ المستشرقين اليهود –أمثال جولد تسيهر وشاخت– هم أشد حرصا على ادعاء استمداد الإسلام من اليهويدة، وتأثيرها فيه، أما المستشرقون المسيحيون فيجرون وراءهم في هذه الدعوى إذ ليس في المسيحية تشريع يستطيعون أن يزعموا تأثر الإسلام به،

[1]–ينظر: محمد البهي: المبشرون والمستشرقون ي موقفهم من الإسلام، 12

وأخذه منه، وإنّما فيه مبادئ أخلاقية، زعموا أنّها أثرت في الإسلام، ودخلت عليه منها. كأنّ المفروض في الديانات الإلهية أن تتعارض مبادؤها الأخلاقية.»[1]

[1]–ينظر: مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، 27.

المحاضرة 5: مناهج الاستشراق في دراسة التراث الإسلامي

تمهيد:

اعتمد المستشرقون في دراستهم للفكر والتراث الإسلامي عدة مناهج يمكن تلخيص أهم ملامحها فيما يأتي[1]:

المنهج	مجالات تطبيقه	مرتكزاته	نماذج من استعماله
منهج التشكيك فيما هو قطعي	–الوقائع التاريخية الثابتة والروايات الصحيحة المرتبطة بتاريخ القرآن وعلومه. –التشكيك في أمان نقل القرآن الكريم+ التشكيك في سلامة تبليغه. –التشكيك في جمع القرآن الكريم وترتيبه.	–اختلاف المصاحف الخاصة لبعض الصحابة رضوان الله عليهم. –روايات الاختلاف دون النظر: إلى أسانيدها، أو آراء العلماء المسلمين: فيها، أو في المسألة المطروحة وأدلتهم عليها.	1–آرثر جفري (**Arthur Jeffery**): أ–شبهات جفري: –حقق ونشر كتاب "المصاحف" لابن أبي داود (ت316هـ) نجل صاحب السنن الذي ضعف ابنه وجرح فيه. –أتى بشتى الروايات الضعيفة والمنقطعة التي كانت سندا للمستشرقين للتشيك في موثوقية القرآن الكريم(ينظر التعليق1 بعد الجدول). –وضع مقدمة مطولة لكتاب "المصاحف" بالانجليزية ضمنها ما زعم أنها مصاحف الصحابة الخاصة (**Materials for the History of the text of the Quran**). –جمع الاختلافات المنسوبة للصحابة والتابعين من مختلف المصادر القديمة التي احتفظت بروايات الآحاد والشاذة المنسوبة إليهم وخاصة تفسير الطبري الذي استقصى الشيء الكثير من ذلك. –وصف مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه بأنّ أقرب المصاحف إلى الأصل. ب–الرد على شبهات جفري: –قول علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: "أعظم الناس في المصاحف أجرا أبو بكر فإنّه أول من جمع ما بين اللوحين". –زيد بن ثابت+عبد الله بن الزبير كانا ضمن اللجنة الرباعية التي شكلها عثمان بن عفان (رضي الله عنهم) لجمع القرآن الكريم في عهده.

[1]–حسن عزوزي: آليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الإسلامية، 15–50.

			–عثمان رضي الله عنه قام بإحراق المصاحف الخاصة على ملأ من الصحابة وبموافقتهم، والتي كانت عبارة عن تقييدات خاصة تضمنت ما كانت رواياته آحاد أو شاذة؛ أو نسخت روايته؛ أو التفسيرات والشروح التي كانوا يسمعونها من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيدونها للاستعانة بها في استيعاب مضامين الآيات القرآنية. **2–ولش (Welch):** **أ–شبهات ولش:** **كاتب مادة "القرآن" في دائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الجديدة (Encyclopédie de l'Islam, art, « Quran », T5,p410) مستندا فيها إلى: –انفراد ابن مسعود رضي الله عنه بمصحف خاص خالٍ من المعوذتين (وفي روايات ضعيفة من الفاتحة وزيد فيه دعاء القنوت) فاتخذه دليلا على عدم تواتر السورتين.** **ب–الرد على شبهات ولش:** **والرد على الشبهة التي أثارها ولش والتي لم يكن السباق إليها قد دحضها العلماء المسلمين وعلى رأسهم الباقلاني والنووي والمازري (ينظر التعليق 2 بعد الجدول).**
منهج الانتقاء في استعمال المصادر	**1–أكثر المصادر المعتمدة عندهم: المصاحف لابن أبي داود؛ الإتقان للسيوطي؛الفهرست لابن النديم؛ تاريخ اليعقوبي؛مروج الذهب للمسعودي؛ أسد الغابة لابن الأثير؛ مقدمة ابن خلدون؛ الأغاني لأبي فرج الأصبهاني؛ الإحياء لأبي حامد الغزالي؛ كتاب الحيوان للدميري؛ كتب**	**تعد مرتكزات هذا المنهج هي أبرز مواطن الخلل فيه، والتي يمكن إجمالها فيما يأتي:** **1–اعتماد عدد معين ومحدود من مصنفات علوم اقرآن دون غيرها** **2–انتقاء الروايات الضعيفة والمنقطعة من مصادر علوم القرآن.** **3–توليد النصوص والشواهد بتصيدها**	**1–من نماذج اعتماد عدد محدود ومعين من مصنفات علوم القرآن دون غيرها:** **أ–بلاشير:** **اعتمد في مقدمة ترجمته للقرآن "مدخل إلى القرآن" على 178 كتابا: 47 منها عبيا معظمها في الأدب والتاريخ وغيرها.** **ب–نولدكه، وبل، وجون بورتون:** **أهم مصادرهم العربية: المصاحف، الإتقان، الفهرست.** **ج–جولد تسيهر:** **انطلق في كتابه "مذاهب التفسير الإسلامي" من مسلمة (أثر الالتزام المذهبي في توجيه النص وإنطاقه) بمبادئ المذهب وعقائده، مكتفيا لإثبات ذلك على كل من الطبري، والزمخشري، وابن عربي؛ إذ لم يستقص بيان مذاهب التفسير كلها ليقف على أنّ النص القرآني نص خصيب متجدد وثري، ليصل إلى نتيجة (من خلال نماذجه) مفادها أنّ محصول المسلمين من التفسير رذاذ متناثر فقته الأهواء الحزبية والفكرية.**

	الأدب والتاريخ عموما؛ كتب المستشرقين السابقة. 2-المصادر المقصاة في دراساتهم: كتب الصحاح والسنن وشروحها؛مقدمات المفسرين القرآنية؛ المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بكتاب الله العزيز لابن أبي شامة المقدسي (665هـ)؛البرهان في علوم القرآن الزركشي(794هـ)؛ التبيان للنووي (643هـ)؛ فنون الأفنان في عجائب القرآن لابن الجوزي.	من كتب الأدب والتاريخ وغيرها. 4-إهمال المصادر القرآنية الأصيلة والاكتفاء بدراسات المستشرقين السابقة.	2-نماذج من انتقائهم للروايات الضعيفة والمنقطعة من مصادر علوم القرآن: أ-الإتقان للسيوطي، المصاحف لابن أبي داود، الطبقات لابن سعد: حيث وجد فيه ولش عند كتابة مادة (القرآن) بغيته من روايات مختلفة ومتباينة عن أوّل من جمع القرآن الكريم، بعضها ينسبه إلى عمر، والآخر إلى علي رضي الله عنهما؛ ونقل ولش أيضا عن ابن أبي داود أنّ أبا بكر بدأ جمع القرآن وأكمله عمر رضي الله عنهما؛ وعن ابن سعد أنّ عمر رضي الله عنه توفي ولم يكتمل جمع القرآن؛ وكل هذه الروايات منقطعة وضعيفة تتنافى مع ما جاء في صحيح البخاري أنّ أوّل الجمع كان من قبل أبي بكر رضي الله تعالى عنه. ب-المصاحف لابن أبي داود: وجد معظم المستشرقين ضالتهم المنشودة في رواياته، وقد كان يجمع كل ما بلغه في شأن جمع القرآن واختلاف مصاحف الصحابة دون تمحيص أو تثبت. 3-نماذج عن توليد النصوص والشواهد بتصيدها من كتب الأدب والتاريخ وغيرها: بلاشير: حيث قام في معرض حديثه عن عدد السور المكية والمدنية بالإحالة في أحد الهوامش على كتاب "الإتقان" ثم قال بعد ذلك: «حسب رواية يقدمها لنا ابن النديم في كتابه "الفهرست" فإنّ عدد السور المكية 85 وعدد السور المدنية 28»، ثم يعقب بقوله: «لاحظوا فالمجموع 113 سورة!»؛ وهنا نجد الجل الذي عُرِف بمنهجه الصارم وحسه النقدي في البحث لم يجرؤ على أن يقول: ربما وقع سهو في كلام ابن النديم أو أنّ العدد 86 تحول إلى 85 خطئا أثناء النسخ أو شيء من هذا القبيل ما دام إجماع الأمة الإسلامية وكذا ما تنطق به ملايين المصاحف المطبوعة يشهد على أنّ عدد سور القرآن 114 سورة. 4-نماذج لإهمال المصادر القرآنية الأصيلة والاحتفاء بدراسات المستشرقين السالفة: أ-بلاشير: -يحيل على كتاب "تاريخ القرآن" لنولدكه كلما تعلق الأمر بأحاديث نبوية أو روايات مأثورة تختص بمسألة جمع القرآن. -في الإحالة يرجع إلى نولدكه أولا ثمّ إلى الواحدي في "أسباب النزول"، وتفسير أبي حيان ثم "الإتقان".

			–الأدهى أنّ بلاشير أشار في هامش أحال فيه إلى كتاب نولدكه بين قوسين إلى أنّ نولدكه أسند نقله إلى الطبري في تفسيره، لكن تبين لبلاشير أنّ الإحالة غير صحيحة ونص عليها، ومع ذلك لم يعر المسألة أدنى اهتمام ومضى قدما يستشهد بما ذكره من نقول أو روايات تخدم هدفه ومرماه. ب–ولش: في مادة "القرآن" يقول: «لا شيء في القرآن يدل على أنّ معنى "الأمي" الذي لا يقرأ ولا يكتب»، وبدل الرجوع إلى كتب اللغة والتفسير يحيل مباشرة على نولدكه وبل وبلاشير.
منهج الأثر والتأثر	أنّ القرآن والإسلام ككل مأخوذ من اليهودية والنصرانية خاصة، وبقية الديانات عامة.		1–أبراهام غايغر (A. Geiger): يعد كتابه: "ماذا أخذ القرآن عن اليهودية" (1833م) بداية حقبة التنقيب عن كل ما يبدو منقولا عن اليهودية. 2–بلاشير: في كتابه "معضلة محمد" ادعى وجود تشابه بين القصص القرآني واليهودية والنصرانية (ينظر التعليق 3 بعد الجدول). 3–أندريه شوراكي (A.Chouraqui): في كتابه "ترجمة القرآن" احتفظ بالأصول العربية لبعض الألفاظ من غير ترجمة ادعاءً بأنّ أصلها عبراني (ينظر التعليق 4 بعد الجدول)، من ذلك: رب العالمين (Rabbbes univers)، شيطان (Shaitan)، الأَمْنْ (L'amen)، ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ البقرة: ١٢٥ (en lieu de retour et d'amen). 4–جولد تسيهر: (ينظر التعليق 5 بعد الجدول).
المنهج الافتراضي	–إذا كان المنهج التشكيكي يقوم على التشكيك فيما هو أدنى للصدق فإنّ المنهج الافتراضي يقوم على تصديق ما هو أدنى وأقرب إلى	مرتكزهم في ذلك منهجهم التاريخي الذي يفترض ترتيبا منطقيا يقبله العقل البشري، حاولوا افتراض ترتيبات جديدة يحكمها الهوى المجرد، وهذا	1–رودويل (): أ–شبهة رودويل: انطلق من كون الآيات التي نزلت مع أول الوحي تتسم بالقصر، وقد حاول أن يضع على أساسها تتيبا جديدا للسور المختلفة، ومن ذلك تعليقه على سورة الملك بقوله: «من الواضح أنّ الآيات من (8) إلى (11) قد نزلت متأخرة عن بقية السورة، ثمّ ألحقت بها؛ لأنّ كلاً منها أطول من بقية آيات السورة.»

	الكذب. –أبرز حقل قرآني استخدم فيه المنهج الافتراضي هو ما تعلق بترتيب الآيات والسور في القرآن.	الترتيب الجديد الذي قادهم إليه سلوكهم للمنهج التاريخي قد علق عليه المستشرقون أخطر النتائج في حقل القرآنيات، واتخذوه أكبر مدخل للطعن في صحة القرآن، وتضارب أحكامه وخضوعه إلى الظروف الزمانية والمكانية.	ب–الرد على شبهة رودويل: إنّه بالرجوع إلى سورة الملك لا نجد أنّ الآيات المشار إليها أطول من غيرها، ولو فرضنا جدلا أنّ الأمر حاصل، وهو حاصل فعلا في كثير من السور (مثل آية المداينة التي هي أطول آية في القرآن في أواخر سورة البقرة) فإنّ ذلك دليل على أن ترتيب آي القرآن الكريم توقيفي من عند حكيم عليم، إذ لو كان من ترتيب جُمّاع القرآن؛ لرتبوا الآيات ترتيبا تاريخيا ومنطقيا وحسب طول الآي والسور وقصرها. 2–ريجيس بلاشير وبول كازانوفا (): أ–شبهات بلاشير وكازانوفا: –بلاشير ترجم القرآن وفق ترتيب نزولي للسور عام 1949م، ثم تراجع عن ذلك لدى إعادة طبع التجمة عام 1957م. –افترض كل من بلاشير وكازانوفا أنّ امتناع الرسول صلى الله عليه وسلم عن جمع القرآن جمعا رسميا راجعا إلى قناعته أنّ القيامة ستقوم، يقول بلاشير في ذلك: «إنّ ميل الرسول وأصحابه إلى ترك الأمور على ما هي عليه يؤيده ما اشتهر به العرب من أنّهم لا يفكرون إلا في الحاضر، ولا يهمهم المستقبل، وهذا الميل يقف وراء عزوف المسلمين عن جمع القرآن في عهده.» –ويذهب كازانوفا إلى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لما كان مؤمنا بأنّ العالم لن يستمر بعد وفاته، وأنّ الساعة ستقوم قبل موته أو بعده مباشرة لم يجمع القرآن، ولم يعين من يخلفه، وقد استند في افتراضه هذا إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: {بعثت أنا والساعة كهاتين} ضاما السبابة والوسطى. ب–الرد على شبهات بلاشير وكازانوفا: –رد زملاءهم المستشرقين عليهم: رد المستشرق الفرنسي ناصر الدين دينيه على كازانوفا بذكر الآيات القرآنية التي تنفي عن الرسول صلى الله عليه وسلم علمه بالساعة متى تقوم، والكتب التي بعثها عليه الصلاة والسلام إلى ملوك الدول والإمبراطوريات المجاورة، والسرايا والغزوات الصعبة التي غزاها مع أصحابه في آخر حياته، ومنها سرية التي همّ بإرسالها إلى الشام وهو طريح الفراش، وهذا الرد الثاني يصدق على دحض شبهة بلاشير كذلك. –أسباب عدم جمع القرآن في العهد النبوي: ويمكن إجمالها فيما يأتي: أ–كان التعويل في صدر الإسلام على الحفظ أكثر من الكتابة، كما أنّ أدوات الكتابة

			لم تكن ميسورة، وبالتالي لم يكن هناك داعٍ قوي لجمع القرآن، كما أنّ حياة المسلمين وقتئذ كانت محدودة بمكة والمدينة وما جاورهما، حيث لم يتفرق الصحابة في الأمصار، والإسلام لم يستبحر عمرانه بعد، مما جعل فتنة الاختلاف وحدوث الالتباس في أمر القرآن مأمونة وغير مطروحة، وقد ساعد على ذلك الحفاظ والقراء الذين كانوا يتدارسون القرآن في كل وقت وحين ويحرصون على استظهاره. ب–أنّ القرآن الكريم لم ينزل جملة واحدة، بل نزل مفرقا على مدى ثلاث وعشرين سنة، وبالتالي لم يكن من الممكن جمعه إلاّ بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حين توقف نزول الوحي. ج–أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان يترقب دائما نزول الوحي بنسخ ما شاء الله من آية أو آيات، ومع إمكان ورود الناسخ تعذر جمع القرآن بصورة عملية مأمونة، وإلاّ كان القرآن المجموع عرضة للتغيير والتبديل كلما نزل ناسخ أو حدث سبب موجب لذلك، وقد كان الأمر في ذلك الوقت صعبا، ولاسيما في ظل ظروف لا تساعد على تيسير أمر الكتابة والتدوين. د–أنّ ترتيب الآيات والسور على ترتيب النزول، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم كلما نزل عليه شيء من القرآن دعا من يكتبه وقال له: {ضع آية كذا في موضع كذا}، ولذلك فإنّ الاعتبارات التي دعت إلى ترتيب القرآن لم تكن تسمح بجمع القرآن في صحف أو مصاحف.
المنهج الإسقاطي	–المقصود بالمنهج الإسقاطي: إسقاط الواقع المعيش على الحوادث والوقائع التاريخية، إنّه تصور الذات في الحدث أو الواقعة التاريخية.	أسلوب القرآن الكريم والتمييز بين المكي والمدني	هنري لامانس (): أ–شبهة لامانس: يذهب لامانس وكثير من المستشرقين إلى أنّ تمايز أسلوب القرآن المكي عن الأسلوب المدني يرجع إلى بيئة قريش المنحطة وبيئة المدينة المتقدمة والمتحضرة؛ يقول لامانس: «إنّ اختلاف الأسلوب بين العهد المكي والعهد لمدني يُعَدُّ انعكاسا واضحا للبيئة التي وجد فيها، فالنصوص القرآنية تعكس طبيعة وبيئة وظروف كل مكان وكل زمان. فالأسلوب القرآني يمتاز في مكة بالشدة والعنف، لأنّ أهلها أجلاف بينما يمتاز في المدينة باللين والوضوح والصفح، لأنّ أهلها مستنيرون.» ب–الرد على شبهة لامانس: –تمايز أسلوب القرآن المكي عن المدني يرجع إلى أنّ تأسيس الدولة في المدينة في ظل بيئة جديدة يستدعي التفصيل في التشريع لبناء مجتمع جديد، في حين في مكة كان الإجمال لأنّ الآيات تشتد في تسفيه أحلام قريش وتقارعهم بالحجج لأنّ الأمر

			كان متعلق بتأسيس ركائز صحيحة وقوية للعقيدة الصحيحة وتقويض أركان العقائد الوثنية السائدة. –اختلاف الأسلوب في المرحلتين يرجع كذلك إلى مراعاة حال الدعوة وتدرجها ليس لتحضر وتخلف الأقوام المخَاطَبين. –القرآن المكي لم ينفرد بأسلوب الترهيب، فالمدني كذلك احتوى على العديد من الآيات التي تحرم الربا مثلا وتتوعد من يأكل بالعذاب الشديد، وكما احتوى القرآن المدني على أسلوب الترغيب فالقرآن المكي لم يخلُ منه هو كذلك، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (فصلت: ٣٣) وهي مكية، وقوله عز وجل أيضا في سورة مكية أخرى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ (الزمر:٥٣)
التركيز على المرحلة التأسيسي للحقل القرآني	–ركز الاستشراق المعاصر على بحث البدايات الأولى لظهور علم التفسير مع جيلي الصحابة والتابعين الهدف من ذلك تحطيم أسس العلوم القرآنية وركائزها المتمثلة في المرويات المتصلة بالصحابة والتابعين، قصد الخلوص إلى نتيجة: التراث التفسيري لم يدون إلا في مرحلة متأخرة عن العصور الأولى.	الشكيك في الروايات الصحيحة والتقليل من أهمية أعلام علم التفسير ومكانتهم كابن عباس، ومجاهد، ورواد الجمع القرآني كزيد ابن ثابت وأبي بكر وعثمان رضي الله تعالى عنهم.	**1–الطعن في جامعي القرآن الكريم:** **أ–الشبهة:** وعلى رأسهم زيد بن ثابت وأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما، حيث اتهموا زيدا بأنّه لم يكن ذلكم الجل المؤهل والموثوق بأمانته في مهمة جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنهما، ومصاحف الصحابة الخاصة التي انفردوا فيها بقراءات شاذة –حسب المستشرقين– كانت أكبر دليل على عدم تواتر القرآن وموثوقيته. **ب–الرد على الشبهة:** –عرف على زيد بن ثابت رضي الله عنه الثقة والضبط حتى عينه الرسول صلى الله عليه وسلم طيلة حياته من كتبة الوحي، لهذا عينه الخلفاء (الصديق وعثمان رضي الله عنهما) لجمع القرآن من بعده. –قال فيه أبو بكر رضي الله عنه: "إنّك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم"، وهذا يبين موقف الخلفاء والصحابة رضوان الله تعالى عنهم من عدالته وحفظه. –شهد زيد رضي الله عنه العرضة الأخيرة للقرآن في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم. –قال ابن الجوزي عن المصاحف الخاصة للصحابة رضوان الله عليهم: «وربما

			يدخلون التفسير في القراءات إيضاحا وبيانا، لأنّهم محققون لما تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم قرآنا، فهم آمنون من الالتباس وربما كان بعضهم يكتبه معه.» **2-الطعن في مؤسسي علم التفسير:** **أ-الشبهة:** -الطعن في ابن عباس وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهم، فالأول من الرواد المؤسسين لعلم التفسير، والثاني من أكبر رواة الحديث النبوي الشريف؛ حيث قام كلود جيليو () بنشر بحث عنونه: "**Le portrait mythique d'Ibn Abbas**"، متأثر بسلفه سبرنجر (**Sprenger**) الذي اتهم ابن عباس رضي الله عنهما بأنه كان كاذبا، وأنّ معظم رواياته متناقضة ومكذوبة ومأخوذة عن مسلمة اليهود دون روية؛ كما ادعى أنّ كثرة الروايات عنه رضي الله عنه إنّما جاءت بغرض إعطاء سند مرجعي موثوق لتلك الأحاديث التي كانت تخدم أغراض المذاهب السياسية والفقهية وغيرها. -والتهم ذاتها وجهت إلى أبي هريرة رضي الله تعالى عنه من قبل جولدتسيهر وشاخت من أجل العمل على تدمير الثقة في الرواية في الإسلام. **ب-الرد على الشبهة:** -كثرة الرواية والرجوع إلى مسلمة أهل الكتاب إنما كانت في حدود اتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل خاصة في المواضع التي أجملت في القرآن وفصلت فيهما، لكنّ الدائرة كانت محدودة جدا، بدليل ما ورد عنه في صحيح البخاري: "يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أُنزِل على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدثُ الأخبار بالله لم يُشَب؟".
منهج النفي	نفي الحقائق القرآنية والوقائع التاريخية المرتبطة بنزوله وجمعه وغير ذلك.	إثارة الشكوك والمبالغة في النقد إلى حد الإلغاء والنفي الكيفي لكل ما يتعارض مع وجهات النظر الاستشراقية.	**1-الطعن في السيرة النبوية:** **أ-الشبهة:** -يذهب سبنجر إلى أنّ اسم النبي صلى الله عليه وسلم قد ورد في أربع سور من القرآن هي: آل عمران، والأحزاب، ومحمد، والفتح، وهي جميعا سور مدنية، ومن ثمة فإنّ لفظة "محمد" لم تكن اسم علم للرسول قبل الهجرة؛ وبهذا ينفي الرجل بسهولة كل الروايات التاريخية والسنن المأثورة التي ورد فيها ذكر اسم محمد صلى الله عليه وسلم في الفترة المكية، لا لشيء إلا لكون الاسم لم يرد في القرآن المكي، ومعلوم أنّ كثيرا من المستشرقين ينفون أحداثا ووقائع معينة من السيرة النبوية ما دامت لم ترد في القرآن الكريم، وهذا ما دفعهم إلى عملية انتقاء متعسفة ذات طابع هدمي وإقصائي يرمي إلى نفي كل رواية أو واقعة لا يرد ذكرها أو الإشارة إليها في القرآن

				الكريم. ب–الرد على الشبهة: –القرآن الكريم ليس كتابا تاريخيا خاصا بتفاصيل حياة النبي عليه الصلاة السلام. 2–الطعن في علوم القرآن: أ–الشبهة: –أكثر علوم القرآن التي ووجهت بإثارة الشبهات بعد جمعه، علم القراءات القرآنية الذي مارس فيه المستشرقون في بحثه ودراسته كل أنواع التجريح والتكسير مع النفي التام لكل المرويات الصحيحة المرتبطة باختلاف القراءات وتنوعها ونفي ربانية مصدرها، ويذهب معظم المستشرقين مذهب جولد تسيهر الذي اشتهر بفكرته عن أسباب اختلاف القراءات القرآنية وإرجاعها إلى خصوصية الخط العربي، يقول: «وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي الذي يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفةً؛ تبعًا لاختلاف النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته وعدد تلك النقاط (...)»؛ ويستشهد بالآية 48 من سورة الأعراف: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٨ ﴾، حيث قرأ بعضهم بدلا من (تستكبرون) بالباء الموحدة (تستكثرون) بالثاء المثلثة، ثمّ استشهد أيضا بقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓ ﴾ (الأعراف: ٥٧)، قرئ أيضا نشرا بالنون بدل الباء، ويسعى جولد تسيهر وأمثاله من المستشرقين إلى إثبات أنّ اختلاف القراءات إنما كان عن هوى ورأي واختيار من القراء لا عن توقيف وسند ورواية. ب– الرد على الشبهة: –المثالين اللذين ضربهما جولد تسيهر يردان على شبهتها بدلا من تثبيتها: المثال الأول: قراءة (تستكثرون) لم تُعتمد لا في القراءات السبع ولا العشر ولا حتى الأربع عشر، بل هي منكرة، ولا يعرف على وجه التحديد من قرأ بذلك، وهذا دليل على أن هيكل الكلمة المرسوم تبعا للنقاط الموضوعة فوقه أو تحته لم يكن العمدة في صحة القراءة؛ المثال الثاني: وذلك بعكس النموذج الثاني الذي يثبت القراءة بالوجهين على سبيل التواتر (نشرا) (بشرا) فالأولى التي هي بضم النون وسكون الشين قرأ بها ابن عامر، وبضم النون والشين قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو بن العلاء، وقرأ حمزة والكسائي بنون مفتوحة وسكون الشين، في حين قرأ عاصم بباء مضمومة وسكون الشين، وبذلك يتبين أن مبنى ذلك هو تواتر الرواية التي نفاها جولدزيهر ومن لف لفه،

			وليس هيئة الرسم كما يزعمون. –هذا، ولا شك أن تنازع الصحابة في القراءة ورجوعهم إليه صلى الله عليه وسلم كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة لأوضح برهان على أن القراءة ليست موكولة إلى أهوائهم، كما أن عثمان (رضي الله عنه) عندما نسخ المصاحف وبعث بها إلى الأمصار، أرسل مع كل مصحف عالماً من علماء القراءة حتى يتم أخذ القراءة من أفواه الأئمة، وهو أكبر دليل على أن القراءة إنما تعتمد على التلقي والنقل والرواية، لا على الخط والرسم والكتابة.

التعليق 1: جمع جفري في مقدمته الاختلافات المنسوبة إلى المصاحف الفردية لبعض الصحابة من أمثال: علي بن أبي طالب، وابن عباس، وأبي موسى الأشعري، وحفصة، وأنس بن مالك، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم، إضافة إلى الاختلافات المنسوبة إلى بعض مصاحف التابعين.

التعليق 2: قال الباقلاني في كتابه "إعجاز القرآن": «(...) ولو كان قد أَنكَرَ السورتين على ادعوا، لكانت الصحابة تناظره على ذلك، وكان يظهر وينتشر؛ فقد تناظروا في أقل من هذا، وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل، فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه؟ وقد علمنا إجماعهم ما جمعوه في المصحف(...)»[1]، ثمّ بيّن كيف أنّ الرواية المنقولة بهذا الصدد لا تعدو أن تكون خبر آحاد لا يُسكَنُ إليه ولا يُعَوَّل عليه.

وكذَّبَ النووي هذه الرواية فقال: «أجمع المسلمون على أنّ المعوذتين والفاتحة وسائر السور المكتوبة في المصحف قرآن وأنّ من جحد شيئا منها كفر، وما نُقِل عن ابن مسعود –في الفاتحة والمعوذتين– باطل وليس بصحيح عنه.»[2]

وينقل النووي عن المازري قوله في تعليل هذه الرواية فيما لو كانت صحيحة: «ويحتمل مما رُوِي من إسقاط المعوذتين من مصحف ابن مسعود أنّه اعتقد أنّه لا يلزمه كتْبُ كل القرآن وكَتَبَ ما سواهما وتركهما لشهرتهما عنده وعند الناس.»[3]

---

[1]–أبو بكر الباقلاني: إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، القاهرة، (دط/دت)، 292.

[2]–جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، 185/1.

[3]–النووي: شرح النووي على صحيح مسلم، 108/2–110.

هذا، ولعلّ أبرز دليل على أنّ عدم كتابة المعوذتين في مصحف ابن مسعود لا تعني عدم حفظه لهما أنّ الفاتحة هي بدورها ليست موجودة في مصحفه، فهل يعقل أن ينكر ابن مسعود السورة التي لا صلاة لمن لم يقرأها؟؟!!

التعليق 3: يقول بلاشير في ذلك: «إنّ التأثير النصراني كان واضحا في السور المكية الأولى إذ كثيرا ما تكشف مقارنة بالنصوص غير الرسمية كإنجيل الطفولة الذي كان سائدا في ذلك العهد عن شبه قوي.»

التعليق 4: يذهب شوراكي في مقدمته للترجمة إلى أنّ لغة القرآن تكاد تكون أقرب إلى العبرية التوراتية منها إلى العربية المعاصرة.

التعليق 5: ويلمح جولد تسيهر بحيلة ودهاء إلى تأثر القرآن باليهودية والنصرانية قائلا: «القرآن مصدق لما سبق من الرسالات الدينية وقد استصفى منها بعد فترة من الرسل ما هو من جوهر الدين»؛ ويقول في موضع آخر: «شعيرة الصلاة التي كانت بصورتها الأولى من قيام وقراءة وبما فيها من ركوع وسجود وبما يسبقها من وضوء تتصل بالنصرانية الشرقية، والصوم الذي جعل أولا في يوم عاشوراء محاكاة للصوم اليهودي الأكبر، وفيما يتعلق بشعائر الحج التي نظمها الإسلام أو بالأحرى احتفظ بها من بين تقاليد العرب الوثنية جعل محمد (صلى الله عليه وسلم) أهمية كبرى لنية التقوى التي يجب أن تصحب هذه الشعيرة حيث يقول: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ ﴾ (الحج: ٣٧)»

المحاضرة 6: مظاهر النشاط الاستشراقي

تمهيد:

يغلب على نشاط المستشرقين بدءا من منتصف القرن الثامن عشر وإلى يومنا هذا الطابع الأكاديمي، ويلخص مصطفى السباعي في كتابه القيم "الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم" أهم مظاهر نشاطاتهم والتي يمكن تلخيصها فيما يأتي مع التركيز على أهم المجلات التي يصدرها المستشرقون وأخطرها؛ فضلا عن اختراقهم للمجامع العلمية في العالم العربي والإسلامي:

أولا: النشاط الاستشراقي:

1-تأليف الكتب في موضوعات مختلفة حول الإسلام، ورسوله وقرآنه.

2-إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام وشعوبه.

3-إرساليات التبشير إلى العالم الإسلامي.

4-إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية، بعضها يلقى في الجامعات العربية والإسلامية!

5-مقالات في الصحف المحلية عندهم، بل وحتى في بعض الصحف في البلاد العربية والإسلامية، وبخاصة مصر بتصريح منهم.

6-عقد المؤتمرات حول الإسلام والمسلمين، وقد انطلقت هذه المؤتمرات عام 1783م، وما تزال مستمرة إلى يومنا هذا.

7-إنشاء موسوعة "دائرة المعارف الإسلامية"، والتي صدرت بعدة لغات منها اللغة العربية، وقد سُخر لإنجاز هذه الموسوعة كبار المستشرقين وأشدهم عداء للإسلام[1].

ثانيا: أهم مجلات المستشرقين:

ويرصد لنا السباعي مجموعة من أهم المجلات التي يصدها المستشرقون والمتمثلة في:

---

[1]-مصطفى السباعي: المستشرقون ما لهم وما عليهم (مرجع سابق)، 34-36.

1–"المجلة الآسيوية" المنبثقة عن جمعية المستشرقين الفرنسيين التي أنشأت عام 1787م وجددت في عام 1820م.

2–"مجلة الجمعية الآسيوية الملكية" الصادرة عن الجمعية المؤلفة في لندن لتشجيع الدراسات الشرقية عام 1823م، والتي يشرفها عليها الملك شخصيا.

3–"مجلة الجمعية الشرقية الأمريكية" التي أنشأها الأمريكيون كناطق رسمي باسم الجمعية، وفي العام نفسه أصدر المستشرقون الألمان مجلتهم الخاصة، وكذلك فعل مستشرقو النمسا وإيطاليا وروسيا.

4–"مجلة جمعية الدراسات الشرقية" أصدرها المستشرقون الأمريكيون في القرن 20م، كانت تصدر في مدينة جامبير (Gambier) بولاية (Ohio)، ولها فروع في لندن وباريس وليبزج،وتورونتو في كندا، ويغلب عليها الاستشراق السياسي، وإن كانت تتعرض أحيانا للجانب الديني وخاصة في باب الكتب.

5–"مجلة شؤون الشرق الأوسط" و"مجلة الشرق الأوسط"، وكلاهما يصدرهما المستشرقون الأمريكيون، ومجال اختصاصهما الاستشراق السياسي.

6–مجلة "العالم الإسلامي" (The Muslim World) التي أنشأها المستشرق المنصر صمويل زويمر في سنة 1911م، والتي يصدرها إلى اليوم المستشرقون الأمريكيون.

7–مجلة "العالم الإسلامي" (Le Monde Musulman) ويصدرها المستشرقون الفرنسيون وهي ذات طابع تنصيري على شاكلة سابقتها حين صدورها في البداية[1].

ثالثا: اختراق المستشرقين للمجامع العلمية:

وقد سلك المستشرقون كل مسلك ظنوه محققا لأهدافهم، ومن ذلك تسللهم إلى المجامع العلمية في العالم العربي والإسلامي، ومن نماذج هذه المجامع والمستشرقين الذين تسللوا إليها نذكر:

---

[1]– مصطفى السباعي: المستشرقون ما لهم وما عليهم، (مرجع سابق)، 37–38.

1-المجمع اللغوي المصري:

-المستشرق الإنجليزي هاملتون جب (Gibb)، أستاذ الدراسات الإسلامية العربية في جامعة هارفارد الأمريكية.

-المستشرق لوي ماسينيون (Massignon. L)، وهو مستشرق فرنسي معاصر ومستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال أفريقيا.

-المستشرق د.س. مرجليوث (Margoliouth. D.S)، وهو أحد محرري دائرة المعارف الإسلامية.

-المستشرق ر.أ.نيكلسون (Nicholson. R.A)، وهو مستشرق إنجليزي ومن محرري دائرة المعارف الإسلامية.

2-المجمع العلمي بدمشق:

-المستشرق جريفني (Griffini) الإيطالي.

-المستشرق جوتهيل (Gottheil) الكولومبي

-المستشرق جويدي (Guidi) الإيطالي

-المستشرق جي سو (Guy. Su) الفرنسي

-المستشرق نالينو (Nallino) الإيطالي

-المستشرق هارتمان (Hartmann) الألماني

-المستشرق هوتمان (Hottmann) الهولندي[1].

[1]-محمد أمين بني عامر: المستشرقون والقرآن الكريم، (مرجع سابق)، 53-54.

المحاضرة 7: المستشرقون بين الموضوعية والذاتية

تمهيد:

المستشرقون وإن كانوا يشتركون في ميدان البحث، ويتفقون على كثير من أسسه وقواعده وأهدافه، إلاّ أنهم يختلفون من حيث المنطلق كل بحسب مشربه، بل ونجد منهم من اتخذ هذا الميدان مجال بحث موضوعي حاول قدر الإمكان تحري المصداقية العلمية فيه، فما هي فئات المستشرقين؟ وما هي النماذج التي سعت إلى الموضوعية العلمية في أبحاثها؟

أولا: فئات المستشرقين: حاول المفكرون العرب والغربيين عدم جمع كل المستشرقين تحت حكم واحد، فقام البعض منهم بعملية تصنيف لهم للتفريق بين فئاتهم كل بحسب المعيار الذي وضعه، وفيما يأتي نماذج من الباحثين في المجال الاستشراق الذين وضعوا تصنيفات للمستشرقين:

1-تقسيم مالك بن نبي: يقسم مالك بن نبي المستشرقين إلى فئتين أو طبقتين كما يطلق عليهما، فيقول: «ثم علينا أن نصنف أسماءهم في شبه ما يسمى "طبقات" على صنفين:

أ-من حيث الزمن: طبقة القدماء مثل جربر دورياك والقديس توماس الإكويني وطبقة المحدثين مثل كاره دوفو وجولد تسيهر.

ب-من حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين لكتابتهم: فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها.»[1]

2-تقسيم إدوارد سعيد: ويقول إدوارد سعيد: «فإذا كنا نستطيع الإشارة إلى بعض الأعمال الاستشراقية العظيمة القائمة على البحوث الأصيلة، مثل المنتخبات العربية التي وضعها سلفستر دي ساسي، أو كتاب وصف أخلاق المصريين المحدثين وعاداتهم الذي كتبه إدوارد وليم لين، فعلينا أيضا أن نذكر أنّ الأفكار العنصرية لدى رينان وجوبينو قد أملتها نفس النزعة، مثل عدد كبير من

[1]-مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين (مرجع سابق)، 5.

الروايات الإباحية التي كتبت في العصر الفكتوري أي في الفترة 1837–1901 (انظر التحليل الذي قدمه ستيفنز ماركوس لما يسميه "التركي الشهواني")»[1]

3–تقسيم مكسيم رودستون: وينحى مكسيم أيضا إلى القسم الثلاثية والتي تتمثل في التيارات الآتية بحسبه:

«أ–تيار نقص: يقوم على الشعور بتفوق الغرب واحتقار جميع الحضارات الأخرى.

ب–تيار رومانسي تغريبي: يستنشق بمتعة عبق الشرق، ويزيد هذه المتعة فقر الشرق المتزايد.

ج–وتيار علمي تخصصي اهتمامه الأساسي على ماضي الشرق.» [2]

ثانيا: نماذج لمحاولات جادة لفهم الإسلام:

إذا كانت الظاهرة الاستشراقية قد نشأة في أحضان الكنيسة، وكان هدفها الأساس حين النشأة الأولى القضاء على الإسلام ومحاربة، وكان المستشرقون الأكاديميون الذين قدموا أنفسهم كأداة لتصحيح مسار الاستشراق والنحو به منحى علمي أكاديمي قد زلت أقدامهم في خدمة التصير والاستعمار، فإنّ هذا لا يعني عدم وجود فئات أخرى من المستشرقين ذوي الأهداف العلمية الحقيقية، الذين كانت غايتهم الوحيدة هي البحث عن الحقيقة، ومنهجهم المتبع الموضوعية الحقة، والحقيقة أنّ البعض من هؤلاء قد قادهم بحثهم الحر إلى اعتناق الإسلام كدينيه مثلا، غير أنّ حديثنا في هذا العنصر لن يكون عن المستشرقين الذين أسلموا، وإنّما عن المستشرقين الذين أنصفوا الإسلام والحضارة الإسلامية مع بقائهم على عقائدهم حقيقة، أو على الأقل فيما هو معروف عنهم.

والمطلع على كتابات العرب والمسلمين المؤرخين والباحثين في الاستشراق والمستشرقين، أو المترجمين لمؤلفاتهم نجد الكثير من المدح والوصف بالموضوعية والأمانة العلمية حتى لأشهرهم شراسة في الحرب على الإسلام كأمثال جولد تسيهر ورينان، في حين أنّ البعض الآخر منهم مدحوا

---

[1]–إدوارد سعيد: الاستشراق (مرجع سابق)، 53.

[2]–محمد إبراهيم الفيومي: الاستشراق رسالة استعمار –تطور صراع الغرب مع الإسلام–، 153–154.

مستشرقين أقل شهرة وصنفوهم تحت عنوان "محاولات جادة نحو فهم الإسلام" كما هو شأن زقزوق، من أمثال: ريتشارد سيمون (Richard Simon)، والفيلسوف بيير بايل (Pierre Bayle)، وسيمون أوكلي (Simon Ockley)، وهادريان ريلاند (Hadrian Reland)[1]، غير أنّ القيام بالتمحيص والتأكد من مدى أمانة هؤلاء في البحث بالاطلاع على أقوالهم وكتابهم تكشف لنا غير ذلك، فهذا ريتشارد سيمون الذي افتتح حديثه عن عادات المسلمين بقوله في موسوعته " Histoire critique des dogmes, des controverses, des coutumes et des cérémonies des chrétiens orientaux"، ما نصه: «إن ديانة المحمديين تقريبًا مزيج من ديانة اليهود ودين المسيحيين ، لقد حكمنا في هذه الحالة على أنها قضية مختصرة ، حتى يتسنى لأولئك الذين يسافرون بالصعود ، التخلص من الكثير من التحيزات أنهم يعتبرون أنه مدين لليهود والمسيحيين بكل ما يتضمنه من الخير ، وخاصة فيما يتعلق بالأخلاق. محمد ، الذي كان مقتنعًا بأن كل دين يجب أن يكون مبنيًا على كلمة الله ، وليس على دين الرجال ، كان مجبرًا على أن يأخذ نوعية مبعوث الله ، وأن يفرض المزيد على المسيحيين ، فقد تظاهر بأنه باراكليتي. أو المعزي وعد في الإنجيل. حتى أنه شارك في ثوابتهم ، واعترف بربنا بوصفه نبيًا عظيمًا له روح الله. من ناحية أخرى ، رغبًا أيضًا في جذب اليهود إليه وجعل هاتين الديانتين واحدة فقط كانت أكثر كمالًا ، قدم في إصلاحه الذي تظاهر جزءًا جيدًا من اليهودية ، وهذا ما يجعل يزعم الماهوميتانيون أنه تم الآن إلغاء اللويكس ، كلاهما موسى والآخر من ربنا ، وبالتالي نحن ملزمون بالشروع في الموموتانية إذا كنا نرغب في أن نكون مخلصين حقًا.»[2]

---

[1]–محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، 34.

[2]-Richard Simon : Histoire critique des dogmes, des controverses, des coutumes et des cérémonies des chrétiens orientaux ; 164-165 ; «La religion des Mahométans n'étant presque qu'un mellange de la religion des Juifs & de celle des Chrétiens, nous avons jugé à propos d'en donnes ici un abrégé, afin que ceux qui voyagent en levant, se défassent de quantité de préjugés qu'ils considèrent qu'elle est redevable aux Juifs & Chrétiens de tous ce qu'elle contient de bon, principalement pour ce qui regarde de la Morale Mahomet, qui étroit persuadé que chaque Religion doit être fondée sur la Parole de Dieu, & non sur celle des hommes, a été obligé de prendre la qualité d'Envoyé de Dieu, & pour imposer davantage aux Chrétiens, il a feint être ce Paraclet ou Consolateur promis dans l'Evangile. Il a même pris une partie de leurs maximes, & a reconnu notre Seigneur comme un grand Prophète qui avoit l'esprit de Dieu. D'autre part, voulant aussi attirer les Juifs à lui et ne faire de ces deux religions qu'une seule qui fut plus parfaite, il a introduit dans sa prétendue reformation une bonne partie du Judaïsme, & c'est ce qui fait que les Mahométans prétendent que les deux Loix, tant celle de Moise que celle de notre seigneur, sont aujourd'hui abolies, & qu'ainsi l'on est obligé d'embarrasser le Mahométisme, si l'on veut être véritablement fidele.»

أما بيير بايل الذي امتدحه زقزوق بأنه معجب بالتسامح في الإسلام فيقول في موسوعته "Dictionnaire Historique et critique de Pierre Bayle" ما نصه: «ولأنّه كان خاضعا للشر، وأراد أن يخفي عجزه عن زوجته، فقد جعلها تعتقد أنّه وقع في هذه التشنجات فقط لأنّه لم يستطع أن يرى مشهد الملاك جبريل، الذي جاء لعلن من الله أشياء كثيرة تتعلق بالدين. ذهبت خديجة، أو المضللة، التي كانت تتظاهر بأنّها كذلك، من منزل إلى منزل لتقول إنّ زوجها كان نبيا، وبهذه الطريقة كانت حريصة على شراء أتباع له»[1]؛ وعليه فمن ادعى بأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم خاضع لقوى الشر أو بمعنى آخر للشيطان أو للجن، وأنه يصاب بالصرع والتشنجات، وكاذب مدعٍ يتظاهر أمام زوجته ليحافظ على مكانته عندها بأنّ ما يجده نتيجة عدم تحمله لقاء الملك جبريل عليه السلام، بل وحتى انتشار دعوته راجع لزوجته التي روجت لنبوته، واشترت الأتباع له، من قال كل هذا في فقرة واحدة ضمن مقال مطول استغرق ما يقارب خمسين صفحة من الحجم الكبير (53–102) مخصصة فقط لشخص محمد صلى الله عليه وسلم ودعوته وأمته، لا ينتظر منه أن ينصف الدين ولا من أتى به.

هذا، وإنّ سيمون أوكلي عند زقزوق مدح الشرق الإسلامي ورفعه على الغرب في كتابه: (The History of Saracens Comprising the Lives of Mohammed and His Successors, to the Death of Abdalmelik, the Eleventh Caliph)، وبالاطلاع على الكتاب نجد الكثير من المواضع التي يتجنب فيها الإنصاف اتجاه الإسلام ونبيه وقرآنه، ويجعل من الكتاب المقدس (بعهديه القديم والجديد) حاكما لكل ما جاء فيه، وحتى لتاريخ العرب، إذ نجده في أحد المواضع مثلا بعدما تحدث عن أصل العرب وأقسامهم، يشير إلى أنّ الرواية العربية حول أصول العرب لا تتفق مع ما جاء في الكتاب المقدس الذي يخبرنا بأنّ أم إسماعيل اتخذت له زوجة من خارج أرض مصر، ويذهب إلى أنّ السبب في اختلاف روايات العرب عن الأشخاص والأشياء عما جاء في التاريخ المقدس (أي المأخوذ من الكتاب المقدس)، هو عدم توفر كتابات قديمة لديهم، فذكرياتهم حول

[1]– Pierre Bayle :Dictionnaire Historique et critique ; 10(M)/54 (MAHOMET) ; « Comme il était sujet au mal caduc, et qu'il voulut cachait à sa femme cette infirnité, il lui fit accroire qu'il ne tombait dans ces convulsions, qu'à cause qu'il ne pauvait soutenir la vue de l'ange Gabriel, qui lui venait annoncer de la part de Dieu plusieurs choses concernant religion. Chadigué, ou trompée on feignant de l'être, s'en allait dire de maison en maison que son mari était prophète, et par ce moyen elle tachait de lui procurer des sectateurs. »

العصور القديمة تنحصر في تقاليدهم، فلا عجب (يقول) أنهم انحرفوا عن الحقيقة. ويبني على كلامه هذا أن العرب رووا أكثر القصص سخافة عن آدم وحواء، وبعدما ينتقد الرواية العربية حول قصة الطوفان، يعرج إلى قصة الذبيح، مخطئا الرواية العربية حولها والتي تفيد بأنّ إسماعيل عليه السلام هو من كان سيقدمه إبراهيم عليه السلام قربانا، ذاهبا إلى أنّ الحقيقة أن إسحاق هو من كان سيُقَدم مستندا إلى الكتاب المقدس، ليخلص إلى نتيجة يقول فيها: «...بشكل عام، على الرغم من اعتراف محمد بالاحترام الكبير للعهد القديم والجديد، فقد أفسد على نحو مؤلم تاريخ كليهما بواسطة الأقاصيص: بعضها استعاره من التلمود اليهودي، والبعض الآخر من مؤلفين مزيفين، وبعض منها على الأرجح أنّه زيفها من دماغه، أو دماغ مساعديه»[1]؛ وهنا نجد تصريحا واضحا بأنّ محمد صلى الله عليه وسلم بحسب أوكلي قد ألف القرآن الكريم، مستعينا في ذلك مرة بالنقل من اليهود ومرة ممن وصفهم بمساعديه، وأخرى من كتابات مجهولة زائفة، يتأكد هذا كلما تعمقنا في الكتاب أكثر فأكثر[2].

هذا، وأما هارديان فلم أقف بعد على ترجمة لإحدى اللغات التي أقرأ بها لكتابه الذي وضعه باللاتينية لأتحقق من صدق الدعوى من بطلانها.

وإذا كانت هذه النماذج معظمها قد سقط في ميزان النقد والتدقيق فإنّ هذا لا يعني عدم وجود منصفين من المستشرقين، ومن أمثلتهم نجد كلام من:

4-زيغريد هونكه ():

---

[1]-Simon Ockley : The History of Saracens, p2 ; «This does not agree with scripture, which tells us, that the mother of Ishmael took him a wife out of the land of Egypt, but here I would have it once for all observed, that we shall often find the Arab writers give different accounts of persons and things from what we meet with in sacred history. They had no ancient writings, their memorials of ancient times were haded down to them by traditions; they are besides much given to fable; no wonder then that they deviated so from the truth. thus they tell the most absurd stories of Adam and Eve: they mention Noah's flood, but instead of eight, as th Scripture informs us, pretend eighty persons were saved in the ark, they will have it that was not Isaak but Ishmael whom Abraham was about to offer, ...**In, general, though Mohammed professed great regard for the Old and New Testament, he miserably corrupted the histories of both by fables; some borrowed out of the Jewish Talmud, others from spurious authors, and some probably forged in his own brain, or that of his assistants**.»

[2]-تم إنجاز مقال حول الشبهات التي ألقاها في كتابه هذا، وهو موجه للنشر.

تعد زيغريد هونكه من المستشرقين الذين عنوا بالبحث والتأليف في إنجازات الحضارة العربية الإسلامية، وقد ركزت هونكه في كتابها: "شمس العرب تسطع على الغرب" على أمرين أساسين: الأول: التعامل مع الحضارة محل دراستها على أساس لغتها وأصل منشئها، لذا فضلت تسميتها بالحضارة العربية خلافا لزميلها في المهنة آدم متز مثلا الذي نسبها للديانة التي انطلقت منها وغلبت على فاعليها، فأسماها بالحضارة الإسلامية[1]، الأمر الثاني ميز كتاب هونكه هو إبرازها للآثار التي تركتها هذه الحضارة على العالم الغربي وفضلها عليها في مختلف الميادين وهذا ما نلحظه في عناوين فهرس كتابها، ونصها: (العالم والأرقام –ومما تضمنه: البابا يحسب بالعربية وتاجر يعلم الغرب–، السماء ظللنا –وهو خاص بإنجازات العرب في علم الفلك–، الأيدي الشافية –وفي إطراء لا نظير له لأطباء الحضارة العربية وفضلها على الغرب–، سلاح المعرفة –وفيه تبين المعجزة التي حققها العرب ليليها بيان حول سي الغرب في طريق الظلم، وأهم عنصر تناولته في هذه الجزئية وضعها يدها على سر نهضة وتطور العرب علميا تحت عنوان: طلب العلم عبادة–، موحد الشرق والغرب –وفيه بين جسور التواصل بين الطرفين ومظاهر تأثير العرب في الغرب–، لتخصص الفصل الأخير من كتابه لعرب الأندلس –مبينة كيف علم العرب الغرب أصول الأناقة والتعامل مع المرأة، والعمارة المميزة، والفن والمشاعر الراقية–؛ وإذا كان هذا ما ختمت به هونكه كتابها فإنها قد افتتحته بعنوان ملفت وهو: رفاهية حياتنا اليومية الذي أبرز أهم مظاهر تأثير العرب في تفاصيل حياة الإنسان الغربي لدرجة جعلتهم المدرسة التي ينهل منها الغرب فن الحياة.

وحتى نقف على بعض ما قالته هونكه نصا في كتابها عن أثر العرب على الغرب نكتفي بهذا المقطع الذي نراه بمثابة الخلاصة لما جاء في كتابها كله، ونصه: «وفي خلال مدة حكمهم التي دامت حوالي 800 سنة خلقت الأسر العربية الحاكمة للأندلس حضارة زاهرة. (...) وبقي الجيران على الجانب الآخر من البرانس قرنين وثلاثة وأربعة قرون يصمون آذانهم ويغمضون عيونهم عن جنة العلوم والبناء والغناء والشعر والمرأة في الأندلس.

ورأوا في تلك الحضارة الزاهرة صورة قاتمة سوداء "للكفرة" من أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) تضم السحرة وحلفاء الموت والشيطان. لقد كانوا، في الواقع، يخشون نور المعرفة على

[1]–ينظر آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري –أو عصر النهضة في الإسلام–، ترجمة: عبد الهادي أبو ريدة.

عيونهم التي اعتادت الظلام. ولكن تلك اليد السحرية لم تلبث أن لمست الغرب برغم أنفه لتهزه من سباته العميق.»[1]

ورغم هذا فإنّ هونكه لم تسلم من النظرة الغربية للقرآن الكريم حين قامت بعده نثرا أتى به محمد صلى الله عليه وسلم ساعده على قوة تأثيرها الميزات التي تختص بها اللغة العربية مقارنة كأنموذج للتدليل على موقفها هذا بين قصيدة للشنفرى وسورة التكوير[2].

5–موريس بوكاي ():

وإذا كانت زغريد هونكه قد أفردت كتابها للحديث عن منجزات العرب والمسلمين العلمية والحضارية، وفضلهم على الغرب في مختلف المجالان، فإنّ الطبيب الفرنسي مويس بوكاي قد عقد كتابا للمقارنة بين ثلاثة كتب سماوية (التوراة والإنجيل والقرآن) ومنجزات العلم المعاصر، وإنّ أبسط اطلاع على كتابه الشهير: "التوراة والإنجيل والقرآن والعلم"، يجعلنا نقف على مواقف لمؤلف غربي حول القرآن الكريم وصحته، وصحة ما جاء فيها، وتصريحات لا نكاد نجدها تقريبا عند مؤلف غيره، وطبعا مهما نقلنا من نصوص واقتباسات هنا لن تغني عن الاطلاع على هذا الكتاب القيم وما جاء فيه بالتفصيل، وفيما يأتي تصريح حول مدى صحة المعلومات العلمية التي جاءت في القرآن الكريم، وموقف بوكاي من مدى نسبة القرآن الكريم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كمؤلف أم لا، يقول بوكاي: «والذي يدهش فكر من يواجه مثل هذا النص للمرة الأولى، هو غزارة الموضوعات المطروح، مثل الخلق، والفُلك، وعرض بعض الموضوعات الخاصة بالأرض وجنس الحيوان والنبات، وتكاثر الإنسان، تلك الأمور التي نجد عنها في التوراة دون نص القرآن أخطاء علمية كبيرة، تحملني على التساؤل: إذا كان كاتب القرآن بشرا، فكيف أمكنه في القرن السابع الميلادي كتابة ما يثبت أنه اليوم متفق مع المعارف العلمية الحديثة؟ وليس ثمة أي شك في أنّ النص الذي بين أيدينا للقرآن هو نص ذلك العصر (الفصل التالي لهذا الجزء الثالث سيعالج هذه القضية)* فما هو التفسير الإنساني لهذه الملاحظة؟!

---

[1]–زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب –أثر الحضارة العربية في أوروبة–، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، مراجعة ووضع الحواشي: مارون عيسى الخوري، 475.

[2]–ينظر: المصدر نفسه، 511–513.

ليس لها في رأيي (يقول بوكاي) أي تفسير، إذ ليس من سبب خاص للتفكير بأن ساكنا لشبه الجزية العربية أمكن أن تكون له في الوقت الذي كان يحكم في فرنسا الملك داجوبير ثقافة علمية سابقة على قرننا الحاضر في بعض الموضوعات بعشرات القرون.

وإنه لمن الثابت أن معارف العصر العلمية زمن الوحي القرآني الذي يمتد على مرحلة قريبة من عشرين سنة قبل وبعد الهجرة (622م) كانت في حالة ركود منذ قرون، وأنّ الفترة النشيطة للمدنية الإسلامية مع النهضة العلمية التي واكبتها كانت لاحقة على نهاية الوحي القرآني. وينبغي تجاهل المعطيات الدينية والدنيوية التي تثيرها الفكرة التالية التي سمعتها أحيانا وهي: أنّ الفضل في وجود يقينيات في القرآن ذات سمة علمية مدهشة، يعود إلى تقدم المعارف العربية إذ ذاك واستفادة محمد منها. والذي يعرف شيئا عن تاريخ الإسلام، ويعلم أن مرحلة النهضة الثقافية والعلمية في العلم العربي في القرون الوسطى متأخرة عن محمد، لا يسمح لنفسه بمثل هذا الترهات. إن عدم صحة مثل هذه الأفكار بعيد عن هذا الحديث إذ إنّ أكثرية الأعمال العلمية المشار إليها أو المصرح بها بشكل بارز في القرآن لم تثبت صحتها إلا في هذا العصر الحديث.»[1]

وقد تعمدت نقل هذا النص كاملا رغم طوله لبيان موقف بوكاي من العديد من المسائل: أولها وأهمها إثبات عدم بشرية القرآن الكريم، والثاني إثبات صحة ما جاء به القرآن الكريم من قضايا علمية سابقة لعصره بشكل لا يضاهيه أي كتاب ديني أو بشري.

---

[1]**–موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة: الشيخ حسن خالد، 149–150.**

***–إن الاطلاع على الجزئية التي أطلق عليها: "تاريخ تدوينه" تحت أصالة القرآن بدءا من ص 155–162 تشعرك (لولا بعض الهفوات التي وقع فيها حول الأحاديث النبوية الشريف) تشعر وكأن مسلما الذي يكتب عن القرآن لدقة المعلومات وصحتها حول التدوين بكل مراحله وطرقه بدءا من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ووصولا إلى عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.**

المحاضرة 8: مكانة القرآن في حياة المسلمين وخطورته في نظر الغرب:

يمثل القرآن الكريم الحياة النابضة للأمة الإسلامية بكل جوانبها، فهو ليس كأي كتاب لأي أمة من الأمم، فالقرآن بالنسبة للمسلمين هو ركيزة دينهم وحياتهم معا، فمن القرآن يستمد المسلمون أسس وتفاصيل دينهم، وهو أيضا هاديهم وموجههم في حياتهم، ولا عجب أنّ المسلمين الأوائل أقاموا حضارة عرفت أوج ازدهارها في كل الميادين انطلاقا من كتابهم الأساس (القرآن)، هذا الكتاب الذي حوى بين طياته أسس السياسة، والاقتصاد، والاجتماع والعلوم المختلفة، ويكفي أنه وجه الإنسان نحو البحث والاكتشاف، والتأمل في سنن الكون متحديا البشرية بقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ (فصلت: 53).

هذه الأهمية التي يكتسيها القرآن الكريم في حياة المسلمين جعلت الغرب يناصبه العداء، تارة بترجمته محاولة للوقوف على نقاط ضعفٍ فيه، أو تشويه معانيه، وتارة أخرى بإخضاعه لمناهج وآليات غريبة عنه لإثبات عدم أصالته تحت مسمى العلم، وثالثة بالتصريح علانية بخطورته وضرورة التخلص منه كما حدث مع كل من: أحد المنصرين في بداية القرن الميلادي الماضي الذي كتب يقول: «سيظلُّ الإسلام صخرة عاتية تتحطَّم عليها كل محاولات التبشير ما دام للمسلمين هذه الدعائم الأربع: القرآن، والأزهر، واجتماع الجمعة الأسبوعي، ومؤتمر الحج السنوي العام»[1].

وهذا القس الأمريكي تيري جونز أعلن يوم 13 جويلية 2010 بأنّ كنيسة الولايات المتحدة الأمريكية بدأت الاحتفال بيوم عالمي لحرق القرآن، وفي ذكرى 09/11، وقرروا أنّه في 2010/09/11م يقومون بحرق القرآن في مركز (Dove world outreach Center) أي مركز اليمامة للتواصل العالمي في مدينة غينسفيل[2]؛ وهو ما قام به بالفعل وأشرف عليه في شهر مارس 2011م[1].

---

[1]–موسوعة الأديان: المبحث الثالث: الأفكار والمعتقدات، https://dorar.net/adyan/759/، 2019/11/22، 20سا، 30د.

[2]–عبد الرحمن أبو المجد: تيري جونز المستشرق الذي يطالب بحرق القرآن، https://www.alukah.net/sharia/0/24055/، 2019/11/22، 20سا،50د

ولعلّ أكثر التصريحات عداوة اتجاه الإسلام تلك التي نقض فيها القس زكريا بطرس ما جاء في خطاب بابا الفاتيكان الذي قدمه في إحدى زياراته لبلد من البلدان الإسلامية حول التسامح بين المسلمين والمسيحيين، وذلك في لقاء تلفيزيوني على قناة فضائية، حيث من بين الأسئلة التي وجهت للقس: «المضيف: اعتدنا أن تعلق لنا عن الأحداث في عالمنا من وجهة نظر الله، واليوم لنا بعض الأحداث الهامة، الحدث الأول هو عن: "تصريح بابا الفاتيكان بأن القرآن والكتاب المقدس شيء واحد": وما هو تعليقك على ذلك؟»[2]، ليقوم برد تفصيلي ليس هذا محله، حتى يصل إلى ما يتعلق بالقرآن الكريم فيقول فيه: « العبارة تقول: "إن القرآن والتعاليم الروحية الواردة فيه، هي صحيحة تماما مثل الكتاب المقدس. (يقصد العبارة التي جاءت في خطاب بابا الفاتيكان)

(1)–هذه مصيبة كبرى: كيف تكون تعاليم القرآن صحيحة، وأنها مثل الكتاب المقدس؟

(2)–هل في تعاليم الكتاب المقدس إرهاب وقتل كما في القرآن؟

(3)–هل في تعاليم الكتاب المقدس غزو للقبائل والشعوب واستعمار للبلاد والأقطار؟

(4)–هل في تعاليم الكتاب المقدس التحريض على الزنا بالزواج من أربعة نساء، وممارسة الجنس مع ما ملكت أيمانكم؟ وحتى حوريات الجنة والولدان المخلدون"

(5)–هل في تعاليم الكتاب المقدس التحريض على الكذب كما في تعليم القرآن عن التقية والكذب؟»[3]

وتبقى كل هذه التصريحات الموجهة لمحاربة القرآن وتشويهه غيض من فيض، وفيما يأتي سنقف على الشبهات التي أثارها المستشرقون حول القرآن الكريم بحجة العلم:

---

[1]–عبد الحميد عبدوس: "استفزاز مدبر، إساءة لا تعتفر!"، جريدة البصائر، ص 3، ع 618، الاثنين 1–7 ذو القعدة 1433هـ/17–23 سبتمبر 2012م.

[2]– عبد الله: حصة "الله في حدث" ح61، من إعداد: القمص: زكريا بطرس: "تصريحات بابا الفاتيكان حول الكتاب المقدس والقرآن"، الأربعاء 8 يونيو 2016، قناة الفادي الفضائية، https://alfadytv.tv/، 2019/11/22، 21سا، 15د.

[3]–المرجع نفسه.

المحاضرة 9: شبهات المستشرقين حول الوحي:

تمهيد:

لقد وجه المستشرقون جملة من الشبهات اتجاه الرسول صلى الله عليه وسلم وحقيقة تلقيه الوحي لعل أهمها: شبهتي الصرع والإلهام، وفيما يأتي تفصيلهما:

أولا: شبهة الصرع:

1-اتهم المستشرقين للرسول صلى الله عليه وسلم بالمريض بالصرع: لقد فضل بعض المستشرقين أن ينحو في طعنه في القرآن الكريم منحً نفسيا، حيث فسروا الحالات التي تعتري الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء نزول الوحي عليه على أنها مرض، وتحديدا إن إلا نوبات الصرع بحسبهم توصله عليه الصلاة والسلام الغيبوبة، فإذا استفاق منها ذكر أنه كان يوحى إليه، ويتلو على أتباعه ما يوهمهم أنه وحي[1]، ومن المستشرقين الذين قالوا بذلك نذكر الأمثلة الآتية:

2-أقوال المستشرقين حول شبهة الصرع:

أ-نولدكه: يقول المستشرق الألماني ثيودور: «إنّ سبب الوحي النازل على محمد (صلى الله عليه وسلم) والدعوة التي قام بها هو ما كان ينتابه من داء الصرع.» [2]

ب-شبرنجر: أما المستشرق شبرنجر فيقول: «إلنها ليست (نوبات صرع) وإنما هي نوبات هستيرية اشتهرت باسم (شوتلاين).» [3]

3-الرد على شبهة الصرع: وسنكتفي للرد على هذه الشبهة برد المستشرق وليم ميور (Muir) الذي قال فيه: «وتصوير ما كان يبدو على محمد في ساعات الوحي على هذا النحو الخاطئ من الناحية العلمية خطأ كبير. فنوبة الصرع لا تترك عند من تصيبه أي ذكر لما مرّ به أثناءها، بل يصاب بالنسيان خلال هذه المدة من حياته بعد أن يفيق نسيانا تاما، ولا يذكر شيئا مما

---

[1]-مشتاق بشير الغزالي: القرآن الكريم في دراسات المستشرقين -دراسة في تاريخ القرآن: نزوله وتدوينه وجمعه، 53.

[2]-محمد أمين بني عامر: المسشرقون والقرآن الكريم (مرجع سابق)، 309.

[3]-المرجع نفسه، 310.

صنع أو حل به خلالها؛ لأن حركة الشعور، والتفكير تتعطل عنده تمام العطل. وهذه أعراض كما ثبتها العلم، ولم يكن ذلك ما يصيب النبي العربي أثناء الوحي، بل كانت تتنبه حواسه المدركة في تلك الأثناء تنبها لا عهد للناس به، يذكر بدقة كل ما يتلقاه بعد ذلك على أصحابه. ثم إنّ نزول الوحي لم يك مقترنا دوما بالغيبوبة الحسية مع وجود الإدراك الروحي، بل كثيرا ما يحدث والنبي في تمام يقظته العادية.»[1]

ثانيا: شبهة الإلهام:

1–اتهام المستشرقين للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه ملهم: وذهبت فئة أخرى من المستشرقين إلى ادعاء أنها مصدقة للنبي صلى الله عليه وسلم عندما يقول بأنه يوحى إليه، لكنهم فسروا ذلك على أساس أنه وحي نفسي وإلهام، فقالوا: «نحن لا نشك في خبره عما رأى وسمع ولا نشك في كونه مصلحا اجتماعيا، وعبقريا فذا، وإنما نقول أن منبع ذلك إلها من نفسه وليس فيه شيء جاء من عالم الغيب الذي يقال: إنه وراء عالم المادة والطبيعة الذي يعرفه جميع الناس. فإنّ هذا الغيب شيء لم يثبت عندنا وجوده، كما أنه لم يقبت عندنا ما ينفيه، ويلحقه بالمحال.»[2]

2–أقوال المستشرقين حول شبهة الإلهام:

أ–إميل درمنغم: لم تكن شبهة درمنغم تقوم على التصريح بالإلهام، وإنما هي شبهة مركبة يمكن تجمع كل الشبهة الموجودة في هذا المطلب والذي يليه كما سنرى لاحقا، فهو يذهب إلى أن تأملات محمد صلى الله عليه وسلم وانعزاله إنما كان مقتديا فيه برهبان النصارى الذين رأهم أثناء أسفاره ومن حوله، ولرفضه لما عليه قومه وإعجابه بما عليه أصحاب الديانتين اليهودية والنصرانية، هذا الرفض أدى به حسب درمنغم إلى اضطراب نفسي حيث يقول: «فلما كانت سنة 610 كان الاضطراب النفسي الذي يعانيه محمد على أشده (...) أخذ محمد يزيد رغبة عن الاجتماع بالناس، وصار يجد في عزلته في غار حراء ما تقر به عينه، فيقضي الأسابيع فيه ومعه زاد قليل، وأصبح له

[1]– مشتاق بشير الغزالي: القرآن الكريم في دراسات المستشرقين (مرجع سابق)، 54.

[2]–عمر بن إبراهيم رضوان: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، 382/1.

بالصوم والسهر وإنعام النظر في الفكرة الواحدة ما تهيم به روحه، وأضحى لا يفرق جيدا بين تعاقب الليل والنهار، وبين اليقظة والمنام، وغدا يقضي طويل الساعات جاثيا في الظلام أو مستلقيا تحت الشمس أو سائرا بخطا واسعة في الشعاب الصخرية، وكان كلما سار خُيِّل إليه أن أصواتا تخرج من الحجارة، فإذا ما تعثر بحجر ارتد، والحجارة كثيرة تحت وهج الشمس والحجارة تحييه ب"رسول الله".»[1]

ب–مونتجمري واط: أما واط وإن لم يصرح بأن الوحي الذي يأتي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أنه إلهام لكن هذا ما يفهم من كلامه عندما ينفي أن يكون الرسول عليه الصلاة والسلام قد تلقى الوي مباشرة من ملك في الفترة المكية، ومن ذلك قوله: «(...) ففي الحقبة المكية ليس هناك ذكر –على قدر ملاحظتي (يقول واط)– لسماع النبي ما أنزل عليه. وربما، لذلك، يجب أن نتصور أن الروح يأتي بالرسالة إلى قلب محمد صلى الله عليه وسلم أو عقله بطريقة ما غير التحدث إليه.

وهذا بالتأكيد وحي كلامي داخلي (interior locution) وربما كان من النوع العقلي أقرب منه إلى النوع التخيلي، ومن المفترض أنه لم يكن مصحوبا بأية رؤى ولا حتى عقلية، لأنّ ذكر روح (Spirit) يعطينا انطباعا بشرح التجربة على المستوى الفكري وليس وصف جانب منها.»[2]

3–الرد على شبهة الإلهام: إن المطلع على علم النفس فضلا عن المتخصص فيه يدرك تمام الإدراك بطلان هذه الفرية التي افتراها هؤلاء المستشرقين على الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ «إنّ مصدر الإلهام والحدس الواقع، هو باطني (داخلي) ومتأثر بالتجربة البشرية، في حين أنّ مصدر الوحي هو خارجي غير متأثر بنفسه الداخلية أو أي تجربة بشرية، وغير ملتزم بالحدود الطبيعية للعقل البشري، لأنه ينقل للإنسان حقائق تتجاوز نطاق إدراكه العقلي، زد في ذلك أن القرآن الكريم ظل ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم ما يقارب اللاث والعشرين سنة، فهل يعقل إذن أنّ يلازم الحدس أو الإلهام، أو أي حالة أخرى ابتدعها المستشرقون على مدى هذه السنين، ويكون معه في

[1]–إميل درمنغم: الشخصية المحمدية –السيرة والمسيرة–، ترجمة عادل زعيتر، 75–76.

[2]– مونتجمري وليام واط: محمد في مكة، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، مراجعة وتعليق أحمد الشلبي، 125.

كل ما مرّ من أحداث صغيرة، وكبيرة شهدها الإسلام؟ وهي يعقل أن تحمل هذه الحالات النفسية كل هذه الحكمة والأحكام، وكل ما في القرآن من إعجاز؟»[1]

[1]– مشتاق بشير الغزالي: القرآن الكريم في دراسات المستشرقين (مرجع سابق)، 59.

المحاضرة10: شبهات المستشرقين حول مصدر القرآن الكريم

أولا: شبهة الانتحال:

1-الشبهة: يذهب كثير من المستشرقين إلى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد انتحل القرآن، فهو من تأليفه، ولكنه استعان في قسم كبير منه بغيره؛ أما عن مصادر هذا الانتحال فهم في الحقيقة لم يخرجوا عما اتهمه به المشركون من قبل، وإن كانوا هم أمعنوا في التفصيل ومحاولة إعطاء الأدلة على صدق دعواهم، وتتمثل هذه المصادر التي قالوا بأنه صلى الله عليه وسلم قد أخذ منها في كل من:

أ-رجال دين مسيحيين: وعلى رأسهم بحيرى وورقة بن نوفل.

ب-بعض الموالي والخدم من المسيحيين كسلمان الفارسي رضي الله عنه.

ج-بعض حكماء قريش كقس بن ساعدة.

د-عقائد وديانة العرب في شبه الجزيرة العربية في عصره.

هـ-اليهودية والمسيحية.

و-ديانات الفرس والهند. [1]

2-أقوال المستشرقين التي تحمل شبهة الانتحال: ومن نماذج أقوال المستشرقين في هذا المجال نكتفي بما يأتي:

أ-يقول المستشرق اليهودي الألماني إبراهام جيجر (Abraham Geiger) في كتابه "ماذا اقتبس محمد من اليهودية؟": "Was hat Mohammed aus Demjudentum auf Genommen ?": «إنّ القرآن مأخوذ باللفظ أو بالمعنى من كتب اليهود.» [2]

---

[1]-ينظر: محمد أمين بني عامر: المستشرقون والقرآن الكريم (مرجع سابق)، 236.

[2]-عبد الراضي محمد عبد المحسن: ماذا يريد الغرب من القرآن؟، 154.

ب–ويقول المستشرق اليهودي الهولندي فنسك (A.J.Wensinck): «النبي كان يبشر بدين مستمد من اليهودية والنصرانية، ومن ثمّ كان يردد قصص الأنبياء المذكورين في النوراة والإنجيل، لينذر قومه بما حدث لمكذِّبي الرسل قبله، وليثبِّت أتباعه القليلين من حوله.»[1]

ج–ويقول المستشرق سنكلير تسدل () في كتابه "مصادر الإسلام": "": «إنّ شرائع الإسلام تأسست من شرائع الأديان المعاصرة له، والمنتشرة وقتئذ في الشرق، ألا وهي: اليهودية، والمسيحية، والهندية، والصابئة، والفارسية، والجاهلية.»[2]

د–ويقول جوستاف لوبون (G.Lebon) في كتابه "حضارة العرب": "" عند حديثه عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما نصه: «إنّ محمدا سافر مع عمه إلى سورية مرة، وتعرّف في بُصرى براهب نسطوري في دير نصراني، وتلقى منه علم التوراة.»[3]

هـ–أما الفرنسي مدير المكتبة الوطنية في الجزائر إبان الاستعمار إيميل درمنغم (Emile Dermenghem) فيقول: «وكان الصبي محمد يحب قصص الرجال ومغامرات السياح والأحاديث الغريبة والأساطير القديمة عن الأماكن التي صار يمر منها. (...) ومهما يكن الأمر فإنه كان للشام نفوذ كبير في نفس محمد (...) وهل أخذ الشاب القرشي محمد يقابل بين الروم والعرب، بين التوحيد والوثنية؟ وهل بدأ يفكر في المسائل الدينية التي ستشغل ذهنه وتستولي على حياته؟ وهل صار يشك في معتقدات بيئة صباه الغليظة؟»[4]

ويقول في موضع آخر: «وفي عكاظ كانت تذاع المبادئ الدينية، وفي عكاظ تقابل تعاليم أديان الجزيرة بعضها ببعض، وإلى عكاظ كان يجيء كما يظهر، نصارى من الحيرة ونجران زرفات ووحدانا، وإلى عكاظ جاء الشاب محمد مع أبي بكر ذات يوم فسمعا أسقف نجران الشهير قس بن ساعدة يتكلم. (...) وقد ادّكر محمد بعد طويل زمن قسا وهو راكب جملا أوراق وطلب من أبي

---

[1]–المرجع نفسه، 156.

[2]–محمد أمين بني عامر: المرجع السابق، 206.

[3]–جوستاف لوبون: حضارة العرب، 108.

[4]–إميل درمنغم: الشخصية المحمدية (مصدر سابق)، 52–53.

بكر أن يذك له ما قاله، وكان ما سمعه من قس في عكاظ من المؤثرات النصرانية الأولى فيه لا ريب.»[1]

و–أما مونتجمري واط: فقد أخذ على نفسه أنه سيتعامل مع القرآن الكريم، والرسول صلى الله عليه وسلم، زمن ثمة الإسلام على أساس نظرة وقناعات المسلمين[2]، واستعان في سبيل ذلك بمجموعة من مصادر المسلمين حول دينهم وما يتعلق به، إضافة إلى كتابات استشراقية وغربية طبقت مناهجها على ديانات أخرى غير الإسلام، أو في مجال غير الأديان أصلا[3]، ولكنّ قراءة مثلا كتابه "محمد في مكة" نجد أنه لم يستطع أن يتخلص كلية من خلفيته العقدية والفكرية، وإن كان هو بالمقارنة مع غيره من المستشرقين كالذين تمت الإشارة إليهم في محاضرات سابقة مثلا أكثرهم موضوعية بقدر ما يسرته له خلفيته التي تجعله أحيانا يتوقف أو يعطي تفسيرات حتى للآيات القرآنية الكريمة لا أساس لها بمعنى الآية لا في سياقها ولا في التفاسير التي أوردها العلماء المسلمين[4]، ومن بين الالتباسات التي وقع فيها نذكر ذهابه مثلا إلى أنّ كلمتي اقرأ وقرآن هما كلمتان سريانيتين أدخلتهما المسيحية إلى البلاد العربية، فيقول في هذا الصدد: «تنتمي كلمتا "اقرأ" و"قرآن" إلى مجموعة المفردات الدينية التي أدخلتها المسيحية في شبه الجزيرة العربية، فكلمة قرأ تعني "تلا بوقار نصا مقدسا"، وأما كلمة "قرآن" فهي الكلمة السريانية "كريانا queryana" التي تعني "القراءة" أو "درس من الكتاب المقدس".»[5]

هذا، وأما عن أثر أم المؤمنين خديجة رضي الله تعالى عنها، والادعاء بأنها وقريبها ورقة بن نوفل قد ساعدا في توهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يوحى إليه، بل ودورها الكبير في نشر دعوته وتأمين الأتباع له فقد سبق بيانه مع بيار بايلي في المحاضرات السابقة.

---

[1]–المصدر نفسه، 54–55.

[2]–ينظر مثلا: مونتجمري وليام واط: محمد في مكة، (مصدر سابق)، 122.

[3]–ينظر: المصدر نفسه، 123–125.

[4]–ينظر: المصدر نفسه، 124–125.

[5]–المصدر نفسه، 112.

3–الرد على شبهة الانتحال: إنّ القول بأنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد انتحل القرآن والإسلام من محيطه وممن تواصل معهم ينفيه واقع تحليل هذا الواقع وما جاء في القرآن الكريم، وهذا يتجلى لنا فيما يأتي:

أ–الرد على شبهة الانتحال من اليهودية والنصرانية: إنّ أبسط مقارنة بين الكتاب المقدس بشقيه (العهد القديم والجديد) تكشف أنه لا يمكن أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم قد أخذ القرآن منهما أو حتى استعان بهما للمجيء به، وسنكتفي هنا بنموذجين يثبتان ذلك:

أ–1–عقدي: فالقرآن الكريم يخالف كلية ما جاء في اليهودية والنصرانية من الناحية العقدية، فإذا كانت اليهودية قائمة على التجسيم في تصورها للإله[1]، والنصرانية على القول بالثليث فإن القرآن قد رد على كل هذا، بل ووصف اليهود بسبب ذلك بالمغضوب عليهم وبالكفر، والنصارى بالضالين، ورد على كل عقائدهم بكل تفصيلاتها، فإذا أخذنا العقائد التي رد عليها القرآن عند الفريقين مثلا نجده قد رد ادعاءاتهم كلها بدءا من تصور الإله كادعائهم أنّ المسيح عليه السلام ابن الله، أو أنّ الله هو المسيح ابن مريم أو أنّ المسيح هو الله، وكذا قولهم بالتثليث، وقولهم بصلب المسيح عليه السلام؛ هذا فضلا عن ادعاء كلا الفريقين بأنهم على دين إبراهيم عليه السلام، أو أنّ الهداية محصورة فيهم، وأنّ الجنة مخصوصة بهم ولا يدخلون الجنة غيرهم، وأنّ كل فريق منهم يرى نفسه أنهم خير فرقة، وأنهم أبناء الله وأحباؤه؛ وقول النصارى بأنّ لرؤساء الكنيسة حق التشريع[2].

أ–2–جانب القصص: إنّ قصص الأمم السابقة والأنبياء هي أكثر الأشياء المشتركة بين القرآن الكريم والعهد القديم، لكن القيام بالاطلاع على هذه القصص وتحليلها يكشف لنا بأنّ القرآن جاء ليصحح الأخطاء التي وقع فيها أتباع الديانتين السابقتين والتحريفات التي أدخلوها على هذه القصص، ومما يستغرب له حقا أن يدعي المستشرقون ومن ينحون نحوهم أنّ النبي صلى الله

---

[1]–ينظر مثلا: سفر التكوين (32: 24–26)، (31: 25–34)، (2: 1–3)، (3: 8–11)، (6: 5–6)؛ سفر صموئيل الثاني (7: 6–8).

[2]–ينظر: إي إروان سنتري دو القواعد الندوي وآخرون: معتقدات النصارى التي عالجها القرآن الكريم وصححها، القرآن رائد النقلة الحضارية للأمة 2013، https://www.academia.edu/9614603/، 2019/11/28، 20سا،30د.

عليه وسلم أنه نقل هذه القصص عن الديانتين السابقتين وأنّ الاختلاف بين قصص القرآن الكريم وقصص العهد القديم ترجع للأخطاء التي وقع فيها محمد عليه الصلاة والسلام عند النقل أو أنه أخذ من كتب الأبوكريفا غير المعترف بها، في حين نرى مثلا التنزيه التام الذي تميزت بها القصة القرآنية عند تناولها الأنبياء والصالحين مثلا في مقابل الاتهامات والكبائر التي وصموا بها في العهد القديم والتي وصلت حد ارتكاب الكبائر وعلى رأسها الشرك بالله تعالى[1]، بعد هذا كيف يمكنهم اعتبار أنّ القصة القرآنية منقولة ومنتحلة، ومن أين لمحمد الأمي (صلى الله عليه وسلم)، الذي لم يخرج من مكة قبل البعثة إلا مرات معدودة على أصابع اليد الواحدة تاجرا بأموال غيره لا متعلما مثل هذه الصحيحات!!!

ب–الرد على شبهة التعلم من بحيرى وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة وسلمان الفارسي: إنّ هذه الدعوى من أغرب الدعاوى التي أطلقها المستشرقون، وإن لم يكونوا أصيلين فيها كلية فقد ذكر لنا القرآن الكريم أنّ مشركي قريش قد اتهموا الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه يكتتب قصص الأولين فقال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ ﴾ (الفرقان: 5)، ورد عليهم المولى وجل بقوله تبارك وتعالى:﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ۝١٠٣ ﴾ (النحل: 103)؛ وهذا الرد يصدق على الفريقين (مشركي قريش والمستشرقين)، فورقة بحيرى فضلا عن أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يلتق الأول إلاّ بعد بعثته ووفاته في أوائل البعثة، ولقائه بالثاني مرة واحدة على مأدبة طعام وفي سن صغيرة، فإنّ كليهما لسانه ليس عربيا، وأما سلمان الفارسي فمعلوم أنه ما اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم إلا لما علم بأنه المذكور في كتب الأولين كما علمه أساتذته الأحبار، يبقى قُسّ بن ساعدة فهو وإن كان عربي فصيح إلاّ أنّه توفي قبل بعثة الرسول صلى

[1]–ينظر مثلا: سفر الخروج (32: 1–5)؛ سفر الملوك الثاني (11: 4–9)، (11: 2–5)؛ سفر التثنية (32: 49–51)؛ سفر الملوك الأول (19: 23–24)؛ أشعيا (2: 2–3)؛ سفر هوشع (1: 2–6)، (3: 1–3).

الله عليه وسلم، هذا فضلا عن أنه لم يثبت أنه التقى به إلا في رواية يشير فيه صلى الله عليه وسلم لإعجابه به وطلب تذكيره بما جاء في خطبته[1].

ج–الرد على شبهة الانتحال من البيئة العربية: أما هذه الشبهة فهي من أوهى الشبه لعدة أسباب، لعل أهمها: لو كان الرسول صلى الله عليه وسلم بالفعل أخذ من عبادات العرب الجاهلية لما ناصبه أهله العداء، بل على العكس من ذلك فإنّه صلى الله عليه وسلم أعلن الحرب على عقائدهم الضالة، وأما ما احتفظ به في الإسلام وعلى رأسه بعض مكارم الأخلاق فهو مما يتفق عليه العقلاء، فالإسلام لم يأت للتغير بمعنى الحذف الجذري، وإنما جاء ليغير ما هو منكر ويبقي على ما هو خير ويثمنه.

د–الرد على شبهة أن القرآن من تأليفه بعد أن استوعب كل ما تعلمه طيلة الأربعين عاما السابقة على مجيئه بالإسلام: لعل أقوى دليل على أن القرآن ليس من تأليف الرسول صلى الله عليه وسلم المقارنة بين أسلوبه وأسلوب الحديث النبوي الشريف والأحاديث القدسية، حيث يتميز كل من الثلاثة بأسلوبه الخاص[2] وهو ما يدركه المختصون في اللغويات والأدب، ويعلم كل عاقل أنه من المستحيل أن يكون للشخص الواحد أكثر من أسلوب في التأليف والحديث لدرجة أن المختصين في تحقيق التراث والمخطوطات يثبتون مؤلفات لأصحابها وينفون أخرى عنهم بعدة طرق أهمها الأسلوب.

يضاف إلى هذا أنّ القرآن الكريم حمل في طياته في مرات عديدة عتاب للرسول صلى الله عليه وسلم وانتقاد لبعض ما قد يقع منه، ومن غير المعقول أن شخصا يبحث عن المكانة العالية واستقطاب الأتباع ويقوم ببيان أخطائه وانتقاد نفسه[3].

ثانيا:شبهة التحريف:

---

[1]–ينظر: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، توثيق وتخريج الأحاديث وتعليق: عبد المعطي قلعجي، 101/2 وما بعدها.

[2]–ينظر: محمد أمين بني عامر: المستشرقون والقرآن الكريم (مرجع سابق)، 218–221.

[3]–المرجع نفسه، 222–223.

1–الشبهة: لم يكتف المستشرقون بالادعاء بأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد استلهم القرآن الكريم من غيره، بل ذهب فريق منهم إلى القول بأنّ القرآن الذي بين أيدينا ليس هو كل القرآن، أو القرآن ذاته الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه تعرض للتحريف بالزيادة والإنقاص بحسب رغبة وأهواء الصحابة رضي الله عنهم، وفيما يأتي نماذج لأقوالهم التي يصرحون أو يلمحون فيها إلى ذلك:

2–أقوال المستشرقين التي تحمل شبهة التحريف:

أ–ألف المستشرق بول كازانوفا (Paul Casanova) رسالة سماها "محمد ونهاية العالم، دراسة نقدية حول الإسلام الأول (البسيط)" " Mohammed et la fin du monde, étude critique sur l'Islam primitif"، حاول فيها إثبات أنّ القرآن الكريم الذي بين أيدينا اليوم ليس هو ذاته الذي أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما خضع للتبديل والتغيير من قبل أصحابه غير الأمناء على حد تعبيره، وذلك التبديل كان إما بالحذف أو الإضافة أو بتغيير مكان الآيات، مستدلا على ذلك بجملة من الأمور نكتفي بالإشارة إلى واحد منها وهو خلو النص القرآني من تحديد من يخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحكم، وهو أمر غير معقول بالنسبة له خصوصا وأنّ القرآن جاء شاملا لكل مناحي الحياة: الاجتماعية، والاقتصادية، والأخلاقية.[1].

ب–درمنغهم: يذهب درمنغهم إلى أنّ القرآن الكريم «كسائر الكتب المنزلة لم يحرف إلا بعد نزوله بكثير وإنهم حملوا الناس على نسخة واحدة من المصحف وأحرقوا ما عداها وإنّ كثير من

[1]-« On sait que quelques-uns de ses secrétaires étaient fort sujets à caution, que le successeur immédiat du Prophète fit une recension sévère, que, quelques années plus tard, la disposition du texte fut remaniée.» (p3) ; «J'affirme cependant que la doctrine réelle de Mohammed a été, sinon falsifiée, du moins dissimulée avec le plus grand soin. des raisons fort simples que j'exposerai bientôt ont amené Abou Bekr d'abord, Othman ensuite, à remanier de fond en comble le texte sacré, et ce remaniement a été fait avec une habileté telle que, désormais, il parait impossible de reconstituer le Coran primitif.» (p4) ; «Donc si le Coran porte des traces de remaniement, s'il y a des contradictions peu conciliables avec la bonne foi, ce n'est pas Mohammed qui en est coupable; c'est quelque secrétaire peu scrupuleux ou les auteurs des recensions posthumes.» (p6) ; Paule Casanova : Mohammed et la fin du monde : étude critique sur l'Islam primitif.

الآيات لم يقع فيها الترتيب اللازم، وأنّه لا يعلم بالتمام هل أدخل في القرآن شيء من الحديث النبوي الذي قاله الرسول من نفسه على أنه وحي.»[1]

3–الرد على شبهة التحريف: يكفي للرد على هذه الشبهة القول بأنّ ثورات على الخلفاء المسلمين لعدة أسباب فصلها التاريخ، وقتل عثمان رضي الله عنه سياسيا، ولو أنه بدل حرفا واحدا من القرآن الكريم لما احتاج خصومه لقتله، لأنه حينها سيجمع الصحابة والمسلمون على تكفيره أو أقل شيء الثورة عليه، ولكان التاريخ حمل لنا ذلك، وممن بين عدم تحريف القرآن من المستشرقين أنفسهم وليم موير الذي قال إنّ: «المصحف الذي جمعه عثمان، قد تواتر انتقاله من يد ليد حتى وصل إلينا بدون أي تحريف، ولقد حُفِظ بعناية شديدة، بحيث لم يطرأ أي تغير يذكر، بل نستطيع أن نقول أنّه لم يطرأ عليه أي تغير على الإطلاق، في النسخ التي لا حصر لها والمتداولة في البلاد الإسلامية الواسعة، فلم يوجد إلا قرآن واحد لجميع الفرق الإسلامية المتنازعة، وهذا الاستعمال الإجماعي لنفس النص المنزل الموجود معنا، والذي يرجع إلى الخليفة المنكوب عثمان الذي مات مقتولا.»[2]

---

[1]– محمد أمين بني عامر: المستشرقون والقرآن الكريم (مرجع سابق)، 272.

[2]–المرجع نفسه، 288–289.

المحاضرة 11: شبهات المستشرقين حول جمع القرآن الكريم

تمهيد: لم يكتف المستشرقون بإثارة الشبهات حول القرآن الكريم من حيث مصدريته ومؤلفه الحقيقي، بل عملوا على تعميق ذلك من خلال مواقف كثير منهم وشبهاتهم حول جمع القرآن الكريم، وما يتبعه من الأحرف السبعة والقراءات القرءانية، ومن الشبه المثارة في هذا المجال نذكر:

أولا: جمع القرآن في النظرة الاستشراقية:

1-معنى جمع القرآن بين الدراسات الإسلامية والدراسات الاستشراقية:

اختلفت النظرة الإسلامية عن النظرة الاستشراقية لمفهوم جمع القرآن، رغم أنّ هذه الأخيرة تدعي اعتمادها للمصادر الإسلامية في كل ما يتعلق به:

أ-جمع القرآن في المصادر الإسلامية:

تحمل عبارة جمع القرآن الكريم في الفكر الإسلامي دلالتين أساسيتين هما: الأولى: حفظه في الصدور، وأول من عملوا على حفظه في صدورهم الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، وفي الوقت الذي أشرف جبريل عليه السلام على مراجعة القرآن والتبث من حفظ الرسول صلى الله عليه وسلم له، تعاهد النبي عليه الصلاة والسلام بتعليم صحابته رضوان الله عليهم القرآن والسهر على التثبت من صحة ما حفظوه «فكان الصحابة تلامذة النبي صلى الله عليه وسلم يتعلمون منه القرآن، وكان النبي صلى الله عليه وسلم شيخهم، يتعاهدهم بتعليم القرآن، فإذا أسلم أهل أفق أو قبيلة أرسل إليهم من القرّاء من يعلمهم القرآن، وإن كان في المدينة ضمه إلى حلق التعليم في جامعة القرآن النبوية.»[1]

أما المعنى الثاني لجمع القرآن فيقصد به جمعه في السطور أو التدوين، وهو «هو لون من الحفظ يدوم مع الزمان، ولا يذهب بذهاب الإنسان، فلا غو أن يتحقق أكمل تحقق لهذا الكتاب الذي تكفل الله تعالى بحفظه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾(الحجر:9).

[1]-نور الدين عتر: علوم القرآن، 161-163.

وقد رافق الجمع بالكتابة كل نجم من نجوم هذا القرآن منذ أن تنزّل هذا النجم بالوحي، إلى أن تكامل العمل بجمعه في المصحف جمعا محوطا أشد أنواع العناية والحفاظ، حتى انتشر بين أمة الإسلام وهو في كل ذلك بإجماعها واطلاعها.» [1]

فجمع القرآن الكريم كان عبر ثلاث مراحل كبرى، هي عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقد عني «صلى الله عليه وسلم بكتابة القرآن عناية بالغة جدا، فكان كلما نزل عليه نجم دعا الكتاب فأملاه عليهم، فكتبوه على ما يجدون من أدوات الكتابة حينئذ مثل الرِّقاع، واللِّحاف، والأكتاف، والعُسُب.» [2]

وقد اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم كتبة مخصوصين لا يكتبون عنه غير القرآن الكريم، وقد قدر علماء القرآن عددهم ما بين 25–44 كاتبا كانت مهمتهم متمحضة لكتابة القرآن الكريم على الطريقة وفي المكان الذي يحدده الرسول صلى الله عليه وسسلم للآية أو السورة[3].

ب–جمع القرآن في الفكر الاستشراقي:

يختلف مفهوم وكيفية ووقت جمع القرآن في الفكر الاستشراقي عنه في الفكر الإسلامي، حيث جمع القرآن عند بلاشير مثلا يعني التنقيح[4]، وبالرجوع إلى مقدمة بلاشير التي اعتمدها الباحث عمر رضوان لا نقف على المصطلح بعينه الذي ذكره، غير أنّ تتبع ما جاء حول نزول الوحي ومراحل تدوينه حسب نظرة بلاشير تجعلنا نصل إلى المصطلح هو نتيجة لرؤيته لمفهوم جمع القرآن وتدوينه، وسيتضح ذلك لاحقا أكثر عند بيان موقفه من هذه المراحل[5].

---

[1]–المرجع نفسه، 167.

[2]– المرجع نفسه، 167.

[3]– المرجع نفسه، 167.

[4]– عمر بن إبراهيم رضوان: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره (مرجع سابق)،435/1.

[5]–ريجيس بلاشير: القرآن: نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، ترجمة رضا سعادة، 24–32.

هذا، فيما يذهب أبو الاستشراق الأكاديمي (نولدكه) إلى تغليب المعنى الأول فقط (الحفظ في الذاكرة) إلى غاية ما بعد عهد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه[1].

2–مراحل جمع القرآن في الفكر الاستشراقي:

أ–عهد النبي صلى الله عليه وسلم: يذهب بلاشير إلى أنّ المسلمين لم يروا ضرورة في تدوين القرآن رغم أنّ فكرة النص المدون كانت حاضرة في ذهن المسلمين الأوائل (المكيين) تعلموها من المسيحيين واليهود في المدينة، ومن ثمة فالتدوين لم يبدأ إلاّ بعد الهجرة إلى المدينة، ولم يكن تدوينا كاملا بل انتقائيا، يقول في ذلك: «لا شك أنّ مفهوم النص المكتوب كان حاضرا في أذهان المهتدين المكيين الأول (...). ولقد أمدهم بذلك المفهوم ما كانوا يعرفون من التوراة التي كانت بين أيدي المسيحيين واليهود في المدينة، أو أناجيل نصارى نجران والحبشة الذين كانوا على علاقات تجارية بهم. ومع ذلك فإنّ أنصار محمد لم يشعروا مباشرة بضرورة تدوين الرسالة الجديدة.»[2]

ويضيف محددا بدء التدوين وكيفيته بقوله: «ويبدو أن فكرة تدوين مقاطع من الوحي الهامة التي نزلت في السنوات السالفة على مواد خشنة من الجلود واللحاف، لم تنشأ إلا بعد إقامة محمد في المدينة.»[3]

بل ويذهب إلى أنّ التدوين كان دافعه عاطفيا حماسيا وليس أمرا شرعيا، إذ رغم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم به بعد ذلك، إلاّ أنه لم يكن أمرا إلزاميا «على أنّ هه الحاجة إلى التدوين لم تظهر فيما يبدو إلاّ بين الحين والآخر، وربما كانت تنشأ عن تحمس شخصي لبعض نصوص تشتمل على أدعية أو أحكام شرعية كانوا يرونها هامة، ولقد شجع النبي حماسة التدوين هذه، ولكنه لم

---

[1]– ورباح صعصع عنان الشمري: جمع القرآن الكريم عند المستشرقين جون جلكريست –أنموذجا–، 155.

[2]–ريجيس بلاشير: المصدر نفسه، 28.

[3]– ريجيس بلاشير: المصدر نفسه، 28–29.

يجعلها واجبة. وعلى أي حال فإنّ هذا التدوين كان جزئيا ومثارا للاختلاف، كما كان متخلفا على الأخص، بسبب عدم ثبات المواد والطرائق المستعملة لذلك التدوين.»[1]

ولم يكن بلاشير الوحيد الذي ذهب هذا المذهب، فقد شاركه فيه جملة من المستشرقين من بينهم مواطنه كازانوفا، والمستشرق الألماني بيتر هاينه الذي ينسب بداية تدوين القرآن الكريم إلى زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه بعد الهجرة في المدينة[2].

ولم يكتف المستشرقون بكل ما سبق بيانه، بل ذهبوا إلى حد الانتقاص من قيمة ما دون من القرآن الكريم على أساس أنه أجزاء فقط يحفظها زيد بن ثابت رضي الله عنه، يقول فنسك: «إنّ زيد بن ثابت كان يحفظ بعض السور عندما استقر النبي في المدينة، وقد دوّن بعض ما نزل على النبي من الوحي»[3]؛ ليصلوا من كل هذا إلى نتيجة مفادها: «أنّ القسم المكي من القرآن والذي يشكل حوالي ثلثي المادة القرآنية لم يدون مطلقا، وعلى فرض أنّ محمدا (عليه الصلاة والسلام) كان قد دوّن بعض النصوص في مكة، فإنها فُقدت، لأنّ الحوليات التاريخية لا تذكر اصطحاب المسلمين لمدونات قآنية أثناء ترحالهم للهجرة، إضافة لذلك، لا نجد في المصادر التاريخية أين حديث عن كتبة للقرآن في مكة.»[4]

وإذا كانت النماذج آنفة الذكر تنفي تدوين القرآن الكريم في المرحلة المكية، فإننا نجد بالمقابل نماذج أخرى تثبتها، منها من سبق ذكرهم في محاضرات سابقة (موريس بوكاي)، إضافة إلى بودلي في كتابه "حياة محمد"، وجوستاف لوبون، وجاك بيرك، وجون جلكريست الذي يستدل على ذلك بحادثة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه[5].

---

[1]– ريجيس بلاشير: القرآن: نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، 29.

[2]–ينظر: عمر بن إبراهيم رضوان: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره (مرجع سابق)، 436/1؛ ورباح الشمري: جمع القرآن الكريم عند المستشرقين (مرجع سابق)، 124.

[3]–رباج الشمري: المرجع نفسه، 123.

[4]–المرجع نفسه، 124.

[5]– رباح الشمري: جمع القرآن الكريم عند المستشرقين (مرجع سابق)، 134–136.

ب–عهد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: يذهب عميد المستشرقين نولدكه إلى تغليب فكرة أن القرآن الكريم لم يجمع في مصحف واحد في عهد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، مفسرا الروايات الواردة في ذلك على أنها تعني الحفظ كما سبق بيانه، يقول في ذلك: «ففي الواقع، لا تشير الجملة المستعملة في هذه التقاليد (يقصد مجموعة من الروايات التي تتحدث عن جمع القرآن)، "جمع القرآن"، إلى جمع نصوص الوحي في كتاب، ولكن، كما تقرّ السلطات المحمدية المهتمة بالحديث، إلى حفظه في الذاكرة.»[1]

هذا، أما عن الجمع بمعنى التدوين فإنّ نولدكه لا يكاد يستقر على رأي، إذ يقوم بعرض اختلاف الرواية المتعلقة بالجمع ونقدها «بحسب المعطيات المتوافرة لديه من مصادر المسلمين، ففي رواية يَظهرُ عم بوصفه العقل المدبر للجمع الأول، بينما تفيد أخرى أنّ الخليفة الأول لم تكن له أي علاقة بجمع القرآن، وثالثة بأنّ (عمر كان أول من جمع القرآن في صحف) وأنّ بداية العمل ونهايته حصل في أيام خلافته، ورابعة تصرّح بأنّ عمر مات قبل أن يجمع القرآن.»[2]

هذا، وقداستغل المستشرقون تعدد الروايات حول جمع القرآن الكريم لدخل منه كشبهة للطعن في خاصية الحفظ التي امتاز بها عن بقية الكتب السماوية الأخرى ليدعوا أن النص الأصلي اعتراه التبديل والتغيير كما سبق بيانه.

ج–عهد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه: يعد عهد عثمان رضي الله تعالى عنه أكثر العهود التي ركز عليها المستشرقون شبهاتهم بعد عهد النبي صلى الله عليه وسلم،وذلك لأنّ النسخة المتداولة بين أيدي المسلمين للقرآن الكريم إنما خطت لأول مرة في عهده رضي الله تعالى عنه، فما هي الجوانب التي تطرق إليها المستشرقون عند بحث جمع القرآن في هذه الفترة؟

ج–1–الفرق بين جمعي أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما للقرآن الكريم:

---

[1]–تيودور نولدكه: تاريخ القرآن، تعديل فريديريش شفالي، ترجمة: جورج تامر وآخرون، 214؛ وينظر: رباح الشمري: المرجع السابق، 155.

[2]–رباح الشمري: المرجع نفسه، والصفحة.

يبين نور الدين عتر في كتابه علوم القرآن الفرق بين جمع أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان رضي الله تعالى عنها للقرآن الكريم فيقول إنّ: «عمل أبي بكر كان جمع القرآن كله في نسخة معتمدة يشترك فيها الجميع لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حَمَلَتِه، لأنه لم يكن مجموعا في نسخة واحدة موثقة ذلك التوثيق، بل كان ما وُجِد من نسخ المصحف عند كتّاب الوحي على مسؤوليتهم الخاصة.

أما نوع الاختلاف الذي حدث بين الناس في القراءة فليخصه لنا الإمام أبو بكر الباقلاني في الانتصار بأنّ عثمان "إنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أثبت مع تنزيل (...) خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد.»[1]

فجمع أبي بكر رضي الله عنه إذن هو جمع متفرق في مصحف واحد خشية ضياع شيء منه، أما جمع عثمان رضي الله تعالى عنه فهو جمع قراءة حفاظا على وحدة شمل الأمة.

ج-2-شبهات المستشرقين حول جمع عثمان رضي الله تعالى عنه للقرآن الكريم:

الشبهة الأولى: مصحف أبي بكر رضي الله عنه لم يكن رسميا:

يذهب المستشرق جون جاكريست إلى أنّ مصحف أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لم يكن ذا طابع رسمي معللا ذلك بما أسماه (اختفاؤه بعد الجمع)، يقصد حفظه عند السيدة حفصة رضي الله تعالى عنها، وهو ما قاده إلى عملية ممايزة بين المصحف المجموع تحت رعاية أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وبقية مصاحف الصحابة رضوان الله عليهم ليصل إلى نتيجة مفادها أنّ «هذا المصحف (مصحف أبي بكر)، لم يكن ذا تمامية حقيقية، إذ لو كان أبو بكر وعمر يعلمان علم يقين أنّ المصحف مكتملا لتمّ فضه على مجموع المسلمين في الحين. لأنه في واقع الأمر لم يكن مصحف زيد إلا واحدا من مصاحف عديدة تم جمعها في نفس المدة تقريبا وكانت لها نفس المصداقية، فهناك مصاحف أخرى كانت تنافسه المصداقية والموثوقية.»[2]

---

[1]-نور الدين عتر: علوم القرآن (مرجع سابق)، 173.

[2]- رباح الشمري: جمع القرآن الكريم عند المستشرقين (مرجع سابق)، 256-257.

الشبهة الثانية: حرق عثمان رضي الله عنه للمصاحف دليل اختلافها العميق عما جمع:

لقد كان لقيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه بحرق بقية المصاحف بعد الجمع النهائي للقرآن الكريم أكبر المداخل التي ولج منها المستشرقون للطعن في نيته رضي الله تعالى عنه ومن ثمة الطعن في القرآن الكريم، فهذا جون جاكريست مرة أخرى يسعى إلى إعطاء مبررات لما فعله الخليفة فيقول: «هذه هي المصاحف التي أمر عثمان إحراقها (...) فإذا لم تكن فيما بينها اختلافات عميقة فلماذا قرر عثمان إحراق ما كان عزيزا على كل المسلمين الذين يعدونه كلام الله المنزل على رسوله؟ لا يمكن قبول الطيقة التي يحاول بها علماء الإسلام المعاصرون تبرير ما قام به عثمان، وعلى الخصوص إذا افترضنا (...) أنه لم تكن هناك أبدا اختلافات بين النصوص. ماذا سيعتقد المسلمون لو قام أحد في عصرنا هذا بحرق مصاحف عزيزة على قلوبهم؟ ليس هناك إلا تفسير واحد لكل ماجرى ألا وهو وجود اختلافات نصية عميقة بين المصاحف استوجب معها حل واحد وهو الاحتفاظ بأحدها وتنحية المصاحف الأخرة.»[1]

أما عن مكمن هذا الاختلاف فيحدده جاكريست في أنّ المصاحف الموجودة في الأمصار الأخرى كانت تحمل ما يخالف سياسة الخليفة عثمان رضي الله عنه وتقوض سلطته، وما كان يقوم به من تعيين أقاربه في مناصب الحكم[2].

ج-3-الرد على شبهات المستشرقين حول جمع عثمان رضي الله تعالى عنه للقرآن الكريم:

إنّ الرد على شبهة جاكريست حول مدى رسمية مصحف أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لا تحتاج إلى كثير جهد، فالمصحف إنما جمع ليكون القرآن الكريم في مؤلف واحد موحد حتى لا يضيع منه أي جزء وتتوارثه الأمة في قابل أجيالها تماما كما نزل من عند الله تعالى؛ أما قضية عدم نشره ولا فرضه على حد تعبيره فإنما ترجع لسبب بسيط وهو عدم الحاجة لذلك آنذاك لأن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانوا لا يزالون أحياء وقد تلقوا الوحي مباشرة من النبي صلى الله

---

[1]-ينظر: مشتاق الغزالي: القرآن الكريم في دراسات المستشرقين (مرجع سابق)، 157؛ و رباح الشمري: جمع القرآن الكريم عند المستشرقين (مرجع سابق)، 268.

[2]-رباح الشمري: المرجع نفسه، 264.

عليه وسلم وهو من لقنهم القرآن مباشرة، وهم بدورهم يسهرون على تلقينه لبقية المسلمين؛ أما في عهد عثمان رضي الله تعالى عنه فقد فتحت الأمصار دخلت العجمة على اللسان وخُشي من تأثيرها على تلقي الوحي فجاءت الضرورة لنشره.

هذا، وليس هناك دليل أكبر على رسمية مصحف أبي بكر رضي الله عنه واكتماله من اعتماد الخليفة الثالث عليه عند الجمع النهائي.

أما عما أثاره من شبهات حول إحراق عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه لبقية المصاحف وفرضه لمصحفه على حد تعبيره، فإجابته تكمن في كلامه ذاته من وجهين: الأول: لو كانت هناك اختلافات عميقة بالفعل بين المصاحف لما أجمع الصحابة رضوان الله تعالى على موافقته على ما فعله ولكان وصلنا خبر ذلك؛ أما الوجه الثاني: كيف تكون بقية الأمصار فيها مصاحف تقوض حكم وسياسة عثمان ويرضى بإحراقها أصحابها وهم يحملون دليل إدانة عثمان والقدرة على الثورة عليه بل وخلعه؟؟

ثانيا: الأحرف السبعة في النظرة الاستشراقية:

1- نص حديث الأحرف السبع وشرحه:

أ-حديث الأحرف السبع: عن عبد الرحمن بن عبدٍ القاري قال: سمعت عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يقول: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها، وكِدت أن أعجل عليه، ثم أمهلته حتى انصرف، ثم لبَّبْته بردائه، فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ على غير ما أقرأتنيها! فقال لي» :أرسله« ثم قال له» :اقرأ«فقرأ، قال» :هكذا أنزلت« ثم قال لي» :اقرأ«، فقرأت، فقال» :هَكَذَا أُنْزِلَتْ؛ إِنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَؤُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّر[1]»

ب-شرح حديث الأحرف السبع: والمعنى الإجمالي للحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يبين لأمته أن الله تعالى أنزل القرآن على سبعة أحرف؛ ترخيصًا لها وتوسعة عليها، وللمؤمن أن يقرأ بما يتيسر له منها، ولا إلزام عليه في ذلك؛ وهذا من تمام حفظ الله تعالى لكتابه؛ كما قال سبحانه: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: 9]، جاء التنصيص على هذا

[1]- https://salafcenter.org/3254/، 2019/12/1، 14,45سا.

المعنى في رواية أُبي بن كعب –رضي الله عنه– لهذا الحديث؛ حيث قال: كنت في المسجد، فدخل رجل يصلي، فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرآ، فحسَّن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب، ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني ضرب في صدري، ففضت عرقًا، وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقًا، فقال لي» :يا أُبي، أُرسل إليَّ أن اقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هوِّن على أمتي، فرد إليَّ الثانية: اقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إليَّ الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف، فلك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليَّ الخلق كلهم حتى إبراهيم صلى الله عليه وسلم».[1]

ج–مصير الأحرف السبعة: إن الأحرف السبعة باقية إلى يومنا هذا، وستبقى ما بقي القرآن؛ لأنها لا ترجع إلى الاختلاف في الألفاظ مع اتحاد المعاني، ولا اختلاف اللغات، وإنما ترجع إلى أمور بسيطة يحتملها جميعا رسم القرآن الكريم على كتبته الأصلية دون إعجام وحركات، ويرجّح ابن الجزري صواب هذا الرأي، لأن الأحاديث الواردة تشهد له وتدلّ عليه، فيقول» :والمصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على جبريل عليه السلام، متضمنة لها، لم تترك حرفا منها.« [2]

د– الفرق بين الأحرف والقراءات:

د–1– إن الأحرف ألفاظ متعدّدة تجمع على مصحف واحد، أما القراءات فلفظ واحد قد يقرأ على أوجه من القراءات.

د–2– الحكمة من تعدّد الأحرف التيسير على الأمة، أما القراءات فقد تفيد كلّ قراءة فائدة زائدة ليست في الأخرى، كما في قوله تعالى} :وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ] {البقرة: 222]

[1]–المرجع نفسه.

[2]–مصطفى ديب البغا: الواضح في علوم القرآن، http://www.al-eman.com/، 16.00/12/1سا.

قرئ} :حَتَّى يَطْهُرْنَ{، فالأولى معناها: ينقطع حيضهن، والثانية معناها: يغتسلن. وهي باقية ما بقي القرآن الكريم. [1]

[1]– مصطفى ديب البغا: الواضح في علوم القرآن (مرجع سابق).

المحاضرة 12: قصة الغرانيق في النظرة الاستشراقية

تمهيد:

أولا: حديث الغرانيق: إنّ حديث الغرانيق أورده ابن سعد في طبقاته الكبرى والطبري في تاريخ الرسل والملوك كما أورده كثير من المفسرين المسلمين وكتاب السيرة والذي أخذ به جماعة من المستشرقين ووقفوا يؤيدونه طويلاً، ونصه: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى تجنب قريش اياه وأذاهم أصحابه تمنى فقال : ليته لا ينزل علي شئ ينفرهم مني وقارب قومه ودنا منهم ودنوا منه فجلس يوماً في ناد من تلك الأندية حول الكعبة فقرأ سورة النجم حتى بلغ قوله تعالى : " أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى {19} وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى" – النجم 19,20 فقرأ بعد ذلك : تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى ثم مضى وقرأ السورة كلها وسجد في آخرها وهنالك سجد القوم جميعاً ولم يتخلف منهم أحد وأعلنت قريش رضاها عما تلا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا : قد عرفنا أن الله يحي ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده أما إذا جعلت لها نصيباً فنحن معك وبذلك زال وجه الخلاف بينه وبينهم.

وفشا الأمر في الناس حتى بلغ الحبشة فقال المسلمون بها : عشائرنا أحب الينا وخرجوا راجعين فلما كانوا دون مكة بساعة من نهار لقوا ركباً من كنانة فسألوهم فقالوا : ذكر آلهتهم بخير فتابعه الملأ ثم ارتد عنها فعاد لشتم آلهتهم فعادوا له بالشر وأتمر المسلمون ما يصنعون فلم يطيقوا عن لقاء أهلهم صبراً فدخلوا مكة

وتقول الروايه المفتراة : إنما أرتد محمد صلى الله عليه وسلم عن ذكر آلهة قريش بالخير لأنه كبر عليه قول قريش: أما إذ جعلت لآلهتنا نصيباً فنحن معك ولانه جلس في بيته حتى إذا امسى أتاه جبريل عليه السلام فعرض النبي صلى الله عليه وسلم سورة النجم فقال جبريل عليه السلام : أوجئتك بهاتين الكلمتين؟ مشيراً إلى " تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى" فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قلت على الله ما لم يقل ثم أوحى الله اليه : وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً {73} وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً {74} إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً

{75} – سورة الإسراء الآيات من 73 الى 75 وبذلك عاد يذكر آلهة قريش بالشر ويسبهم وعادت قريش لمناوأته وإيذاء أصحابه.

ثانيا: تهافت حديث الغرانيق: وحديث الغرانيق رواه غير واحد من كتاب السيرة وأشار اليه غير واحد من المفسرين ووقف عنده كثير من المستشرقين طويلاً وهوحديث ظاهر التهافت ينقصه قليل من التمحيص ليفضح كذبه وهوبعد حديث ينفض ما لكل نبي من العصمة في تبليغ رسالات ربه فمن العجب أن يأخذ به يعض كتاب السيرة وبعض المفسرين المسلمين ولذلك لم يتردد ابن اسحاق رضي الله عنه حين سئل عنه في ان قال : إنه من وضع الزنادقة.

ثالثا: حجج مؤيديه: ولكن يعض الذين أخذوا به حاولوا تسويغه فاستندوا الى الآيات : وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ – سورة الإسراء الآيه 73 وقوله تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {52} لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ – سورة الحج ايتا 52 و53

ويفسر بعضهم كلمة "تمنى" في الآية بمعنى قرأ ويفسرها آخرون بمعنى الأمنية المعروفة ويذهب هؤلاء وأولئك ويتابعهم المستشرقون الى أن النبي صلى الله عليه وسلم بلغ منه أذى أصحابه إذ كانوا يقتلون بعضهم ويلقون بعضاً في الصحراء يلفحهم لظى الشمي المحرقة وقد أوقروهم بالحجارة كما فعلوا ببلال رضي الله عنه حتى أضطر الى الإذن لهم في الهجرة الى الحبشة كما بلغ منه جفاء قومه إياه وإعراضهم عنه، ولما كان حريصاً على إسلامهم ونجاتهم من عبادة الأصنام تقرب إليهم وتلا عليهم سورة النجم وأضاف اليها حكاية الغرانيق فلما سجد سجدوا معه وأظهروا له الميل لاتباعه مادام قد جعل لآلهتهم نصيباً مع الله؛ ويضيف سير وليم موير الى هذه الرواية التي وردت في بعض كتب السيرة وكتب التفسير حجة يراها قاطعة بصحة حديث الغرانيق ذلك أن المسلمين الذين هاجروا الى الحبشة لم يك قد مضى على هجرتهم اليها غير ثلاثة أشهر أجارهم النجاشيؤأثناءها وأحسن جوارهم فلو لم يكن قد ترامى اليهم خبر الصلح بين قريش ومحمد صلى الله عليه وسلم لما دفعهم دافع الى العودة حرصاً على الاتصال بأهلهم وعشائرهم وأنى يكون الصلح بين محمد صلى الله عليه وسلم وقريش إذا لم يسع محمد صلى الله عليه وسلم اليه وقد

كان في مكة أقل نفراً واضعف قوة وقد كان أصحابه اعجز من أن يمنعوا انفسهم من أذى قريش ومن تعذيبهم إياهم.

رابعا: دفع هذه الحجج:

1-أسباب عودة المهاجرين من الحبشة:

أ- إسلام عمر رضي الله عنه:هذه هي الحجج التي يسوقها من يقولون بصحة حديث الغرانيق وهي حجج واهية لا تقوم أمام التمحيص ونبدأ بدفع حجة المستشرق موير فالمسلمون الذين عادوا من الحبشة إنما دفعهم الى العودة الى مكة سببان أولهما إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أسلم بعد هجرتهم بقليل، وقد دخل عمر في دين الله بالحمية التي كان يحاربه من قبل بها لم يخف إسلامه ولم يستتر بل ذهب يعلنه على رؤوس الملأ ويقاتلهم في سبيله ولم يرض عن استخفاء المسلمين وتسللهم الى شعاب مكة يقيمون الصلاة بعيدين عن أذى قريش بل دأب على نضال قريش حتى صلى عند الكعبة وصلى المسلمون معه هناك أيقنت قريش أن ما تنال به محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الأذى يوشك أن يثير حرباً أهلية لا يعرف أحد مداها ولا على من تدور دائرتها فقد أسلم من قبائل قريش وبيوتاتها رجال تثور لقتل أي واحد منهم قبيلته وان كانت على غير دينه فلا مفر إذاً من الالتجاء في محاربة محمد صلى الله عليه وسلم الى وسياة لا يترتب عليها هذا الخطر والى ان تتفق قريش على هذه الوسيلة هادنت المسلمين فلم تنل أحداً منهم بأذى وهذا هم ما اتصل بالمهاجرين الى الحبشة ودعاهم الى التفكير في العودة الى مكة.

ب – ثورة الحبشة: وربما ترددوا في العودة من الحبشة لولا السبب الثاني ذلك ان الحبشة شبت بها يومئذ ثورة على النجاشي كان دينه وكان ما أبدى من عطف على المسلمين بعض ما أذيع فيها من تهم وجهت إليه ولقد ابدى المسلمون أحسن الاماني ان ينصر الله النجاشي على خصومه لكنهم لم يكونوا ليشلركوا في هذه الثورة وهم أجانب ولم يك قد مضى على مقامهم بالحبشة غير زمن قليل أما وقد ترامت غليهم انباء الهدنة بين محمد صلى الله عليه وسلم وقريش هدنة انجت المسلمين مما كان يصيبهم من الأذى فخير لهم أن يدعوا الفتنة وراء ظهورهم وان يلحقوا بأهليهم وهذا ما فعلوه على انهم ما كادوا يبلغون مكة حتى كانت قريش قد ائتمرت ما تصنع بمحمد واصحابه واتفقت عشائرهم وكتبوا كتاباً تعاقدوا فيه على مقاطعة بني هاشم مقاطعة تامة فلا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم وبهذا الكتاب عادت الحرب العوان بين الفريقين

ورجع الذين عادوا من الحبشة وذهب معهم من استطاع اللحاق بهم وقد وجدوا هذه المرة عنتاً من قريش إذ حاولت ان تمنعهم من الهجرة ليس الصلح الذي يشير اليه المستشرق موير هو إذا الذي دعا المسلمين الى العودة من بلاد الحبشة إنما دعاهم هذه الهدنة التي حدثت على إثر إسلام عمر رضي الله عنه وحماسته في تأييد دين الله تعالى فتأييد حديث الغرانيق إذا بحجة الصلح تأييد غير ناهض.

2- الاحتجاج بالآيات مقلوب: أما احتجاج المحتجين من كتاب السيرة والمفسرين بالآيات : وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ – سورة الإسراء الآيه 73 وقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {52} لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ – سورة الحج آيتا 52 و53 فهواحتجاج اشد تهافتاً من حجة السير موير ويكفي أن نذكر من الآيات الأولى قوله تعالى : وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً – سورة الإسراء آية 74 لنرى انه إن كان الشيكان قد ألقى في امنية النبي صلى الله عليه وسلم حتى لقد كان يركن إليهم شيئاً قليلاًفقد ثبته الله تعالى فلم يفعل ولوانه فعل لأذاقه الله ضعف الحياة وضعف الممات.

وإذاً فالاحتجاج بهذه الآيات احتجاج مقلوب فقصة الغرانيق تجري بأن محمد صلى الله عليه وسلم ركن الى قريش بالفعل وان قريش قتنته بالفعل فقال على الله ما لم يقل والآيات هنا تفيد أن الله تعالى ثبته فلم يفعل فإذا ذكرت كذلك ان كتب التفسير وأسباب النزول جعلت لهذه الآيات موضعاً غير مسألة الغرانيق رأيت ان الاحتجاج بها في مسألة تتنافى مع عصمة الرسل عليهم السلام في تبليغ رسالاتهم وتتنافى مع تاريخ محمد صلى الله عليه وسلم كله احتجاج متهافت بل احتجاج سقيم؛ أما الآيات: وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى...فلا صلة لها بحديث الغرانيق البتة فضلاً عن ذكرها ان الله ينسخ ما يلقي الشيطان ويجعله فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم ويحكم الله آياته والله عليم حكيم:

3- تهافت القصة علميا وتعدد الروايات فيها: وندع هذا الى تمحيص القصة التمحيص العلمي الذي يثبت عدم صحتها واول ما يدل على ذلك تعدد الروايات فيها فقد رويت كما سبق القول على أنها : تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى، ورواها بعضهم: الغرانقة العلا إن

شفاعتهم ترتجى، وروى آخرون: إن شفاعتهم ترتجى دون ذكر الغرانقة أوالغرانيق؛ وفي رواية رابعة : وانها لهي الغرانيق العلا؛ وفي رواية خامسة: وانهن لهن الغرانيق العلا وان شفاعتهم لهي التي ترتجى؛ وقد وردت في بعض كتب الحديث روايات اخرى غير هذه الروايات الخمس وهذا التعدد في الروايات يدل على ان الحديث موضوع وانه من وضع الزنادقة كما قال ابن اسحاق وان الغرض منه التشكيك في صدق تبليغ محمد صلى الله عليه وسلم رسالات ربه.

4- سياق سورة النجم يأباها: ودليل آخر أقوى وأقطع ذلك سياق سورة النجم وعدم احتماله لمسألة الغرانيق فالسياق يجري بقوله تعالى : لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى {18} أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى {19} وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى {20} أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى {21} تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى {22} إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى – سورة النجم ايات من 18 الى 23؛ وهذا السياق صريح في أن اللات والعزى أسماء سماها المشركون هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان فكيف يحتمل ان يجري السياق بما يأتي: أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى تلك الغرانيق العلا ان شفاعتهن لترتجى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان.

إن في هذا السياق من الفساد والاضطراب والتناقض ومن مدح اللات والعزى ومناة الثالثة الآخرى وذمها في أربع آيات متعاقبة ما لا يسلم به عقل ولا يقول به إنسان ولا تبقى معه شبهة في ان حديث الغرانيق مفترى وضعه الزنادقة لغايتهم وصدقه من يسيغون كل غريب ومن تقبل عقولهم ما لا يسيغ العقل المنطقي.

5- الحجة اللغوية: وحجة أخرى ساقها محمد عبده حين كتب يفند قصة الغرانيق تلك ان وصف العرب لآلهتهم بأنها الغرانيق لم يرد في نظمهم ولا في خطبهم ولم ينقل عن أحد أن ذلك الوصف كان جارياً على ألسنتهم وإنما ورد الغرنوق والغرنيق على أنه اسم لطائر مائي أسود أو أبيض والشاب الأبيض الجميل ولا شئ من ذلك يلائم معنى الآلهة أووصفهم عند العرب.

6- صدق محمد صلى الله عليه وسلم يأبى صحة القصة: بقيت حجة قاطعة نسوقها للدلالة على استحالة قصة الغرانيق هذه من حياة محمد صلى الله عليه وسلم نفسه فهو منذ طفولته

وصباه وشبابه لم يجرب عليه الكذب قط حتى سمي الأمين ولما يبلغ الخامسة والعشرين من عمره وكان صدقه أمراً مسلماً به عند الناس جميعاً حتى لقد سأل قريشاً يوماً بعد بعثه : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقوني ؟ فكان جوابهم : نعم أنت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذباً قط؛ فالرجل الذي عرف بالصدق في صلاته بالناس منذ نعومة أظافره الى كهولته كيف يصدق إنسان أنه يقول على ربه ما لم يقل ويخشى الناس والله أحق أن يخشاه هذا أمر مستحيل يدرك استحالته الذين درسوا هذه النفوس القوية الممتازة التي تعرف الصلابة في الحق ولا تداجي لأي اعتبار وكيف ترى يقول محمد صلى الله عليه وسلم : لووضعت قريش الشمس في يمينه والقمر في شماله على ان يترك هذا الأمر أويموت دونه ما فعل ثم يقول على الله ما لم يوح إليه ويقوله لينقض به أساس الدين الذي بعثه الله ب هدى وبشرى للعالمين ومتى رجع الى قريش ليمدح آلهتهم؟ بعد عشر سنين أونحوها من بعثته وبعد ان أحتمل هو واصحابه في سبيل الرسالة من ألوان الأذى وصنوف التضحية ما احتمل وبعد ان أعز الله تعالى الإسلام بحمزة وعمر وبعد ان بدأ المسلمون يصبحون قوة بمكة ويمتد خبرهم الى بلاد العرب كلها والى الحبشة والى مختلف نواحي العالم وان القول بذلك الحديث خرافة وأكذوبة ممجوجة.

ولقد شعر الذين اخترعوها بسهولة افتضاحها فأرادوا سترها بقولهم: إن محمداً ما كاد يسمع كلام قريش إذ جعل لآلهتهم نصيباً في الشفاعة حتى كبر ذلك عليه وحتى رجع الى الله تائباً اول ما امسى ببيته وجاءه جبريل عليه السلام فيه لكن هذا الستر أحرى ان يفضحها فما دام الأمر قد كبر على محمد منذ سمع مقالة قريش فما كان أحراه أن يراجع الوحي لساعته وما كان أحراه ان يُجري الوحي الصواب على لسانه ؟ واذاً فلا أصل لمسألة الغرانيق إلا الوضع والاختراع قامت بهما طائفة الذين أخذوا انفسهم بالكيد للإسلام بعد انقضاء الصدر الأول.

7- إفتراء على التوحيد: وأعجب ما في جرأة هؤلاء المفترين أنهم عرضوا للإفتراء في أمّ مسائل الإسلام جميعاً : في التوحيد في المسألة التي بعث محمد صلى الله عليه وسلم لتبليغها للناس منذ اللحظة الأولى والتي لم يقبل فيها منذ تلك اللحظة هوادة ولا أماله عنها ما عرضت عليه قريش ان يعطوه ما يشاء من مال أو يجعلوه ملكاً عليهم وعرضوا ذلك عليه حين لم يكن قد اتبعه من أهل مكة إلا عدد يسير، وما كان أذى قريش لأصحابه ليجعله يرجع عن دعوة أمره ربه أن يبلغها للناس فاختيار المفترين لهذه المسلة التي كانت صلابة محمد صلى الله عليه وسلم فيها غاية ما

عُرف عنه من الصلابة يدل على جرأة غير معقولة ويدل في الوقت نفسه على ان الذين مالوا الى تصديقهم قد خُدعوا فيما لا يجوز أن يُخدع فيه أحد، ولا أصل إذا لمسألة الغرانيق على الإطلاق ولا صلة البتة بينها وبين عودة المسلمين من الحبشة غنما عادوا كما قدمنا بعد أن أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ونصر الإسلام بمثل الحمية التي كان يحاربه من قبل بها حتى اضطرت قريش لمهادنة المسلمين وعادوا حين شبّت في بلاد الحبشة ثورة خافوا مغبتها فلما علمت قريش بعودتهم ازدادت مخاوفها ان يعظم أمر محمد صلى الله عليه وسلم بينهم فأتمرت ما تصنع وقد انتهت بوضع الصحيفة التي قرروا فيها فيما قرروا ألا ينكحوا بني هاشم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم كما أجمعوا فيما بينهم أن يقتلوا محمداً صلى الله عليه وسلم إن استطاعوا[1].

[1]–ينظر: http://www.alsiraj.net/eftraa/html/page12.html، 2019/12/1، 14سا 30.

المحاضرة 13: ترجمة المستشرقين للقرآن الكريم

المبحث الأول: دوافع المستشرقين إلى ترجمة القرآن الكريم:

المطلب الأول: تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن من قبل المستشرقين وبيان أشهر مدارسها:

عدَّ الغرب النصراني الإسلام منذ البداية خطراً حقيقياً يتهدده مما جعله يخشى ويخاف أول الأمر من ترجمة القرآن إلى اللغة اللاتينية لقرون طويلة، حيث لم تظهر أول ترجمة لاتينية لمعاني القرآن إلا بعد حوالي خمسة قرون من ظهور الإسلام، وبعد تدخُّل مارتن لوثر ونشر أول ترجمة لاتينية لمعاني القرآن أصبح هناك اتجاه قوي في الغرب لا يمانع في ترجمة القرآن إلى اللغات الأوربية ولكنه يسعى إلى توظيف هذه الترجمة في توجيه المزيد من الطعنات إلى الإسلام. فتتابعت الترجمات وشملت معظم اللغات الحية، وبخاصة الإسبانية والألمانية الإنجليزية والفرنسية، حتى إنه لا توجد اليوم لغة أوربية أو شرقية إلا وفيها ترجمة أو ترجمات عدة لمعاني القرآن الكريم.

إن اللغة اللاتينية هي اللغة الأولى التي ترجم إليها القرآن الكريم، في المحاولة الأولى التي احتضنتها الأندلس (إسبانيا)" ويبدو أن الترجمة اللاتينية التي صار لها رواج في اللغات الأوربية هي ترجمة دير كلوني. إذ إن سقوط القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية عام **1453**م رافقه نشوء الدول القومية في غرب أوربا مثل إسبانيا وفرنسا والبرتغال التي شجعت التدوين باللغات الوطنية، واعتمدت في ذلك على ما قد دون أو ترجم عن الإسلام إلى اللاتينية. وقد ترجمت نسخة كلوني إلى اللغات الإيطالية والألمانية والهولندية والفرنسية والإنكليزية والروسية، والمهم أن نعلم أن حركة ترجمة القرآن الكريم من قبل المستشرقين عرفت مدارس متخصصة عنيت بالموضوع أشهرها وأهمها: المدرسة الإسبانية والمدرسة الألمانية والمدرسة الإنجليزية. [1]

المطلب الثاني: أسباب ترجمة المستشرقين للقرآن الكريم:

لم يكن غرض المستشرقين من ترجمة القرآن الاطلاع عليه أو الاستفادة منه، وإنما كان هدفهم محاربته بعد الوقوف على مضمونه، وإثارة الشبهات والتشكيك حوله، وكانت تلك المحاولة هي البوادر الأولى للاستشراق، الأمر الذي يؤكد لنا أن الاستشراق في محاولته الفكرية لفهم الإسلام

[1]–محمد حمادي الفقير التمسماني: تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قِبل المستشرقين ودوافعها وخطرها، https://vb.tafsir.net/tafsir

كان دافعه الأصيل: العمل من أجل التنديد والاستخفاف بالمقومات الثقافية. "فقد بينت الدراسات المحققة في الموضوع أن القرآن ترجمه المستشرقون ليحاربوه، وكانت عملية الترجمة تسودها المعاداة المطلقة للإسلام، وانطلقوا من فكرة ترجمة القرآن الكريم صراحةً لدحض المبادئ الإسلامية وتفنيدها.. ولنا على ذلك مثل في الترجمة الإسبانية التي وضعها موكيوندو أي أو كراتوندو وعنوانها هكذا بكل صراحة: القرآن مترجماً بأمانة إلى الإسبانية ومعلقاً عليه ومدحضاً طبقاً للعقيدة والتعاليم المقدسة والأخلاق الكاملة للدين الكاثوليكي المقدس الرسولي الروماني".[1]

المبحث الثاني: أدوات المستشرقين ووسائلهم لترجمة القرآن الكريم:

المطلب الأول: اتجاهات المستشرقين في الترجمة:

لقد عرف الاستشراق الترجمي في تاريخه اتجاهين متفاوتين في الخطورة والعداء:

1-.اتجاه قديم، وهو الاتجاه العدائي الصرف الذي كان سائداً قبل مطلع هذا القرن، ويتميز بأمور منها:

-كانت أبحاث المستشرقين القرآنية يطبعها منهج عدواني سافر، يوجه من خلاله الشتم والسب والتجديف في حق القرآن الكريم والنبي الكريم.

-كانوا يدرسون في هذا العهد القرآن على أساس أنه هرطقة ومجموعة من التخيلات والتصورات جاء بها نبي مزيف.

-لم يكن من هدفهم البحث العلمي الحر، وإنما درسوه من أجل نقده فقط فهم: "يعتقدون أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الذي ألف القرآن، ولإثبات اعتقادهم هذا حاولوا اكتشاف أية أخطاء في القرآن – بحسب زعمهم –كما حاولوا إثبات أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان يعرف القراءة والكتابة، وأنه قرأ التوراة والإنجيل والمزامير، واستفاد منها في تأليف القرآن"

2- .الاتجاه الجديد المعاصر بدأ من أول هذا القرن، حيث يرجع الباحثون والدارسون تأسيسه إلى المستشرق الألماني (تيودور نولدكه) ت:1931م والمعروف بلقب شيخ المستشرقين

---

[1]-المرجع نفسه.

في الدراسات القرآنية " فلقد اتبع طريقة في التأليف استرعت انتباه زملائه المتخصصين.. في سائر معاقل الاستشراق في أوروبا وأميركا، إذ حرص على إبراز سائر وجهات النظر الثابتة في مسألة من مسائل علوم القرآن الكريم، معتمداً في ذلك على استقصاء مختلف الآراء من مصادر عربية وأجنبية شهيرة ومغمورة، مخطوطة ومطبوعة على حد سواء، كما أنه اتبع في عملية الاستقصاء والاستقراء ثم الاستدلال منهجاً أكاديمياً صارماً: لم يكن معهوداً فيما قبل."

ومن أهم مميزات هذا الاتجاه:

– الرجوع مباشرة إلى المصنفات العربية اللصيقة بمجال القرآنيات.

– المنهج الصارم في الدراسة والتحليل.

– الاهتمام بالدراسات اللغوية.

والحق أن المستشرق الذي يدرس القرآن ولا يؤمن بكونه من عند الله مهما حاول التجرد من الهوى والتزام شيء من الموضوعية والحياد، فإنه واقع لا محالة في أخطاء فظيعة ونظريات واهية. [1]

المطلب الثاني: أساليب وطرائق المستشرقين في ترجمة معاني القرآن الكريم:

يختلف المستشرقون، وتتباين أساليبهم وطرائقهم التي اعتمدوها في الترجمة ولكن رؤيتهم تكاد تظل رؤية مقيدة ومتحدة، حتى لقد قال (ماكسيم ردونسون) منتقداً هذه الرؤية: "لقد أصبح النظر في عدم أصالة الإسلام واعتماده على الأديان السابقة ديدنا vogueبين عموم المستشرقين"

من أجل ذلك فقد اعتمدوا منهجاً في الترجمة لا صلة له بالعلم والبحث، يتسم بالقصور والخلل في المنهج، وهذه بعض معالمه نذكرها إجمالاً:

– إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائه

–التحكم فيما يفرضونه أو يقبلونه من النصوص.

[1]–محمد حمادي الفقير التمسماني: تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم (مرجع سابق).

–تحريف النص تحريفاً مقصوداً

–تأويل معنى النص حين لا يجدون مجالاً للتحريف.

– حرصهم على تجاوز كل ما من شأنه أن يثبت أن القرآن كلام الله.

–تصيد النصوص الملائمة والموافقة لهواهم.

–الخلط بين شيء قليل مما هو مبثوث في المصادر وما كانت تمليه تخيلات وتكهنات المستشرقين.

ثم إنهم يسلكون في سبيل التأثير والإقناع مسالك خبيثة، حيث "يعدون محاور التحريف ونقاط التشويه والإدانة، ثم يبنون عليها ترجماتهم حتى تأتي دليلاً على ما سبق وأعدوه من مخطط مغرض؟!" كما أنهم يمهدون لعملهم هذا بكتابة دراسات ومقدمات لا تحصى عن القرآن –نشرت قبل الترجمة – وهي غالباً ما تتضمن التشهير بالإسلام والنبي صلى الله عليه سلم، لكي يترسخ في ذهن القارئ الغربي بالدرجة الأولى زيف الإسلام وكراهيته، لقد اعتمدوا على آلية التمركز عل الذات والتمحور حولها، ذلك هو ما يفسر تشويه ترجمات القرآن وتحريفها، وتجدر الملاحظة إلى أن هذا التشويه وذاك التحريف لا يرجعان إلى رغبة النصارى فيهما فقط، بقدر ما يؤولان إلى اعتماد هؤلاء لهذه الآلية، ولمنهجية التأثير والتأثر وتعقبهما، وهي ذات المنهجية التي ما فتئت تخضع لها بعض الإنتاجات الاستشراقية لحد الآن.. وهذا ما يفسر لنا تحاشي الترجمات اللاتينية للقرآن لكل المفردات التي تحيل فيه على معاني الإسلام والتسليم والمسلمين، وإسقاطها وتعويضها بمفردات ومعاني الإسماعيلية والمحمديين. وذلك هو ما يفسر قلق النصارى تجاه هذا الكتاب عندما ذكر بعض القصص التي وردت في كتبهم بصورة لا تتفق مع ما يعهدون فيها. كما يفسر حيرتهم عندما دعا إلى الإيمان بما جاء به عيسى ضمن الإيمان بما أتى به جميع الرسل والأنبياء، منكراً عليهم التثليث والصب والحلول والذنب الأصلي إلخ"[1]

[1]– محمد حمادي الفقير التمسماني: تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم (مرجع سابق).

المحاضرة 14: السنة ومنهج المحدثين

تمهيد:

المطلب الأول: منزلة السنة من الدين:

1-حكم اتباع السنة في القرآن الكريم:

تعد السنة النبوية الشريفة المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وقد جاءت النصوص القرآنية مبينة ومؤكدة على ضرورة الأخذ بها في مواضع عديدة، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (الحشر: 7)، ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ (آل عمران: 132)، ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ (النساء: 80)؛ وغيرها من الآيات التي تحث على طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما أمر، والانتهاء عما نهى.

2-حكم اتباع السنة في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وقد نصت أحاديث نبوية كثيرة على ضرورة اتباع ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته، وعاقبة من خالف ذلك، وفيما يأتي نكتفي بالصحيح منها، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إذا نهيتُكم عن شيءٍ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمرٍ فأتُوا منه ما استطعتم} (رواه البخاري ومسلم)،وفي الصحيحين أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {مَن أطاعني فقد أطاع الله تعالى، ومَن عصاني فقد عصى الله} (رواه البخاري ومسلم)، وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: {مَن رَغِبَ عن سُنتي فليس مني} (رواه البخاري ومسلم).

3-منزلة السنة من القرآن الكريم:

جاء في مقال للأستاذ الدكتور مصطفى مسلم تلخيص مميز لمنزلة السنة النبوية من القرآن الكريم وعلاقتها به، حيث بين أنّ للسنة النبوية الشريفة عدة وظائف، فمنها المقررة والمؤكدة لما

جاء في القرآن الكريم، ومنها المفصلة لما أُجمِل فيه، وأحيانا تأتي مخصصة لعام في القرآن الكريم، أو مقيدة لمطلقه؛ كما تأتي السنة مشرعة لأحكام وتشريعات لم ترد في القرآن الكريم أحيانا كتحريم الذهب والحرير على الرجال مثلا[1] مما يؤكد عدم إمكانية الاستغناء عنها لتمام الدين.

المطلب الثاني: جهود المحدثين ومنهجهم في التعامل مع السنة:

1-تعريف المحدث:

عرفه تاج الدين السبكي في معيده بقوله: «أنما المحدث من عرف الأسانيد، والعلل وأسماء الرجال والعالي والنازل، وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة وسمع الكتب الستة، ومسند أحمد ابن حنبل وسنن البيهقي، ومعجم الطبراني، وضم إلى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثية. هذا أقل درجاته. فإذا سمع ما ذكرناه، وكتب الطباق، ودار على الشيوخ، وتكلم في العلل والوفيات والأسانيد كان في أول درجات المحدثين، ثم يزيد الله من شاء ما شاء.»[2]

2-منهج المحدثين في حفظ السنة:

من أهمِّ معالم منهج المحدثين في حفظ السنة النبوية نذكر:

أولاً: الصِّيغة المُستعمَلة لأداء الحديث:

كان المحدِّثون أهل دقَّةٍ وأمانة في اختيار الصِّيغة المُستعملة لأداء الحديث، قال معتمر بن سليمان البصري – رحمه الله (ت 187هـ") :(سمعتُ"، أسهلُ عليَّ من" :حدَّثنا "و"أخبرنا " و"حدَّثني "و"أخبرني"؛ لأنَّ الرجل قد يَسْمَعُ ولا يُحَدَّث)

ولأجلِ ضَبْطِ تلقِّي السُّنة وضَعَ علماءُ الحديث طُرُقَ وأنواع التَّحمُّل، وجعلوها ثمانية طُرق. مُبيِّنين أحكامها بالتَّفصيل.

قال القاضي عياض – رحمه الله: (اعلم أن طريق النَّقل، ووجوه الأخذ، وأصول الرواية على أنواعٍ كثيرة، ويجمَعُها ثمانيةُ ضُروب:

---

[1]-مصطفى مسلم وفتحي محمد الزغبي: منزلة السنة النبوية من القرآن الكريم وعلاقتها به، https://www.alukah.net/sharia/0/72808/؛ 2019/12/02، 3سا،50د.

[2]-تاج الدين السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق وضبط: محمد علي النجار وآخرون، 82-83.

أولها :السماع من لفظ الشيخ. وثانيها :القراءة عليه. وثالثها :المناولة. ورابعها :الكتابة. وخامسها :الإجازة. وسادسها :الإعلام للطالب بأنَّ هذه الكتبَ روايته. وسابعها :وصيَّتُه بِكَتْبِه له. وثامنها :الوقوف على خَطِّ الراوي فقط)

وكانوا يُشيرون إلى طرق التَّحمُّل والنقل التي اعتمدها كلُّ راوٍ على حدة، فعلى سبيل المثال:

♦مَنْ تحمَّلَ أحاديثَ عن طريق النَّظر في كتابٍ موثوقٍ به، بيَّنوا أمْرَه :وقالوا بحقِّه: روى أحاديثَ وِجَادَةً، أو رواها من صَحيفةٍ، ونحو ذلك من العبارات التي تدل على عدم سماع ما يُحدِّثُ به:

قال شُعبة بن الحجَّاج – رحمه الله) :حديث أبي سفيان عن جابر، إنما هي صحيفة)

وقال عبد الرحمن بن مهدي – رحمه الله: (حَدَّثْتُ سفيانَ أحاديثَ إسرائيل عن عبد الأعلى عن ابن الحنفية، قال: كانت من كتاب. قلت) ابن أبي حاتم :(يعني: أنها ليست بسماع) .وهذا دليلٌ واضح على أمانتهم واهتمامهم.

وكان الرواة أنفسهم يُشيرون إلى الطريقة التي تحمَّلوا بها الأحاديث وكيفيةِ نقلها، وهذا منهجٌ علمي أصيلٌ التزمه الرواة وضربوا به المَثَلَ في الدِّقة والأمانة:

♦فمن شِدَّة أمانتهم، أنَّ الراوي إذا سُئِلَ عما يُحدِّث به قال: أخَذْتُه من صحيفةٍ، أو من غيرِها من طرق التحمل، ومثال ذلك:

قال الحسن بن عبيد الله – رحمه الله: (ذكرتُ لإبراهيمَ شيئاً، فقال] إبراهيم :[هذا وجدتُه في صحيفة).

وربما جَمَعَ الراوي بين أكثر من طريقةٍ من طرق التَّحمل، وقد برع أهل الحديث في التمييز بينها ومعرفة مرويات كلِّ طريقٍ وتمييزها عن الأخرى:

♦فكانوا يُميِّزون بين السَّماع والعَرْضِ والمُناوَلة، وكلُّها من الطُّرق التي يصحُّ بها التَّحمُّل:

قال الإمام أحمد – رحمه الله – في ابنِ وهب: (كان بعضُ حديثِه سَماعاً، وبعضه عَرْضاً، وبعضه مُناولةً، وكان ما لم يسمعه يقول: قال حيوة، قال فلان).

♦وكان جماعةٌ من المحدِّثين لا يسمعون من المحدِّث، إلاَّ إذا كان يقول: "حدَّثنا" أو "سمعت:"؛ قال سفيان بن عيينة – رحمه الله: (كان عبدُ الكريم أوَّلَ مَنْ جالستُه قبلَ عمرو بن دينار، فكان كثيراً من حديثه، لا يقول فيه: "سمعتُ"، يقول: "قال فلان" ففررتُ منه، وذهبتُ إلى

عمرو بن دينار، فكان يقول: "سمعتُ" و"حدَّثَنا)"، وقال شعبة بن الحجَّاج – رحمه الله: (كلُّ حديثٍ ليس فيه، "حَدَّثَنا "أو" أخْبَرَنا"، فهو خَلٌّ وبَقْلٌ).

ثانياً: نشرُهم للحديث:

♦كانوا لا يُحدِّثون بالحديث، إلاَّ مَنْ كان حافظاً لكتاب الله:

قال حفص بن غياث الكوفي – رحمه الله (ت 195هـ): (أتيتُ الأعمشَ، فقلت: حَدِّثْني! قال: أتحفظُ القرآنَ؟ قلت: لا! قال: اذهب فاحفظ القرآن، ثم هلمَّ أُحَدِّثك. قال: فذهبتُ فحفظتُ القرآنَ. ثم جئته، فاستقرأني، فقرأته، فحَدَّثني).

♦ولا يُحدِّثون إلاَّ مَنْ كان فَطِناً:

قال عثمان بن سعيد الدارمي – رحمه الله: (كنا عند سعيد بن أبي مريم بمصر، فأتاه رجل فسأله كتاباً ينظرُ فيه، أو سأله أنْ يُحدِّثه بأحاديث، فامتنع عليه، وسأله رجل آخر في ذلك فأجابه، فقال له الأول: سألتُكَ فلم تُجِبْني، وسألك هذا فأجَبْتَه، وليس هذا حقَّ العلم! أو نحوه من الكلام.)، وقال: فقال ابن أبي مريم: إنْ كنتَ تعرفُ" الشيباني "من" السيباني "و "أبا جمرة" من" أبي حمزة "وكلاهما عن ابن عباس، حدَّثناكَ وخَصَصْناكَ كما خَصَصْنا هذا) .بمعنى: إن كنتَ فطِناً حدَّثناك. واليوم – للأسف الشديد – في أغلب الجامعات العربية؛ الطلاب الذين نسبتهم متدنِّية يتم تحويلهم إلى كليات الشريعة، وهو ما يُفسِّر ضعف كثير من خريجي الشريعة اليوم.

♦ولا يُحدِّثون إلاَّ مَنْ كان راغباً في سماع الحديث وتحمُّلِه:

قال مسروق بن الأجدع – رحمه الله: (لا تَنْشُرْ بَزَّكَ إلاَّ عند مَنْ يبغيه. قال الإمام أحمد: يعني الحديث).، وقال ابن شهاب الزهري – رحمه الله: (إن للحديث آفةً ونَكَداً وهُجْنَةً، فآفتُه نِسيانُه، ونَكَدُه الكَذِب، وهُجْنَتُه نَشْرُه عند غيرِ أهله).

♦ويطلبون إعادةَ الأحاديثِ الطِّوال من المُحدِّث؛ لكي تُحفظَ:

قال الإمام مالك – رحمه الله: (لقيتُ ابنَ شهابٍ يوماً في موضِعِ الجنائز، وهو على بغلةٍ له، فسألته عن حديثٍ فيه طُولٌ، فحدَّثني به.)، قال: فأخذتُ بلجام بغلته، فلم أحفظْه، قلت: يا أبا بكر، أعِدْهُ عليَّ، فأبى! فقلت: أما كنتَ تحبُّ أن يُعاد عليك الحديث؟ فأعاده عليَّ، فحفظتُه)

ثالثاً: طريقتهم في التَّحديث:

♦كانوا يُحدِّثون بالعدد القليل من الأحاديث؛ لِيُحْفَظَ الحديث بحروفه:

قال شعبة – رحمه الله: (كنتُ آتي قتادةَ فأساله عن حديثين، فيحدثني، ثم يقول: أزِيدُكُ؟ فأقول: لا، حتى أحْفَظَهما وأُتْقِنَهما)، وقال أبو بكر بن عيَّاش – رحمه الله: (كان الأعمش إذا حَدَّثَ بثلاثة أحاديث، قال: قد جاءكم السَّيلُ. قال أبو بكر: وأنا مِثْلُ الأعمش)، وقال ابن الزهري – رحمه الله: (مَنْ طَلَبَ العلمَ جُمْلَةً، فاتَه جُملة، وإنَّما يُدْرَكُ العلمُ حديثٌ وحديثان).

♦وإذا شكَّ أحدُهم في حديثٍ طَرَحَه، وإذا لم يتبيَّن الحديثُ طَرَحَ الكتابَ كلَّه:

قال عبد الرحمن بن مهدي – رحمه الله: (وجدتُ في كُتبي بِخَطِّ يدي عن شُعبةَ ما لم أعرفه، وطَرَحتُه)، وقال يحيى بن معين – رحمه الله: (مَنْ لمْ يَكُنْ سَمْحاً في الحديث كان كَذَّاباً، فقيل له: وكيف يكون سَمْحاً؟ قال: إذا شَكَّ في الحديثِ تَرَكَه)، قال الإمام الشافعي – رحمه الله: (كان مالِكٌ إذا شَكَّ في بعضِ الحديثِ، طَرَحَه كلَّه)، قال الحسينُ بن حُريث المروزي – رحمه الله: (سألتُ عليَّ بن الحسن الشقيقي: هل سمعتَ كتابَ الصَّلاة من أبي حمزة؟ قال: الكتابَ كلَّه، إلاَّ أنه نَهَقَ حِمارٌ يوماً فَخَفِيَ عليَّ حديثٌ أو بعضُ حديثٍ، ثم نَسِيتُ أيَّ حديثٍ كان من الكتاب، فتركتُ الكتابَ كلَّه).

♦بل كانوا إذا شكُّوا في كلمةٍ من الحديث، تركوا الحديثَ كلَّه:

قال يحيى بن سعيد القطان – رحمه الله: (الأمانةُ في الذَّهب والفِضَّة أيسرُ من الأمانةِ في الحديث، إنَّما هي تأديةٌ، إنَّما هي أمانة)، وقال الخطيب البغدادي – رحمه الله: (إذا شكَّ في حديثٍ واحدٍ بعَينِه أنه سَمِعَه وجَبَ عليه اطِّراحه، وجاز له روايةَ ما في الكتاب سواه. وإنْ كان الحديثُ الذي شكَّ فيه لا يعرفُه بعينه، لم يَجُزْ له التَّحديثَ بشيءٍ مِمَّا في ذلك الكتاب)

رابعاً: كتابتُهم للحديث، وعنايتهم بالصُّحف:

♦كان أكثرهم يكتب الحديثَ في صُحُفٍ؛ للرجوع إليها عند الاختلاف:

ولأجل ذلك قدَّم العلماءُ روايةَ عبد الرحمن بن مهدي على روايةِ وكيع بن الجراح في حالِ اختلافهما، وكلاهما إمامٌ حافظٌ حُجَّة؛ لأنَّ ابن مهدي أقرب عهداً بالكتاب، قال الإمام أحمد – رحمه الله: (إذا اختلفَ وكيعٌ وعبدُ الرحمن، فعبدُ الرحمن أثبتُ؛ لأنه أقربُ عهداً بالكتاب) . فالكتاب هو الحَكَمُ بين المُحَدِّثين إذا اختلفوا، وإذا كان الراوي سيئ الحفظ فلا يتحمَّلون منه إلاَّ إنْ حدَّث من كتابه؛ ليأمنوا خطأه.

♦بل كانوا يُثنون على مَنْ يُحدِّثُ من كتاب؛ بأنه "صاحب كتاب:"

قال يحيى بن معين – رحمه الله: (كان جريرُ بن حازم أمثلَ من أبي هلال، وكان صاحِبَ كتاب)، وقال العجلي رحمه الله في ترجمة زهير بن معاوية: (زهير بن معاوية أبو خيثمة الجعفي، كوفي، ثقةٌ، ثبتٌ، مأمونٌ، صاحبُ سُنَّةٍ واتِّباع، وكان يُحَدِّث من كتابه)، وقال الرامهرمزي – رحمه الله: (والحديثُ لا يُضْبَطُ إلاَّ بالكتاب، ثم بالمُقابلة، والمُدارسة، والتَّعَهُّد، والتَّحَفُّظ، والمُذاكرة، والسُّؤال، والفَحْصِ عن الناقلين، والتَّفَقُّهِ بما نقلوه)

♦ويتواصون بالتحديث من الكتاب؛ لأنه أبعد عن الوَهْم والغَلَط:

قال علي بن المديني – رحمه الله: (ليس في أصحابنا أحفظُ من أبي عبد الله أحمدَ ابنِ حنبل، وبلغني أنه لا يُحَدِّثُ إلاَّ من كتاب، ولنا فيه أُسوة)، وقال الذهبي – رحمه الله: (الوَرَعُ أنَّ المُحَدِّث لا يُحَدِّث إلاَّ من كتاب، كما كان يفعل ويوصي به إمامُ المُحَدِّثين أحمدُ بنُ حنبل)، وقال الخطيب الغدادي – رحمه الله: (الاحتياط للمُحَدِّث والأَولى به أنْ يرويَ من كتابه؛ ليسلمَ من الوَهْمِ والغَلَط، ويكونَ جديراً بالبُعْدِ من الزَّلل).

♦وكانوا يهتمُّون بضبط الكلمةِ ونقطِها؛ لكي لا يقع فيها تصحيفٌ:

ومن أهمِّ الأدلة على دقَّة الرَّاوي وصحَّةِ كتابه: اهتمامه" بالشَّكْل"، و"التَّنْقِيط"؛ ولذا كانوا يحثون على تنقيطِ الكتاب وضَبْطِه: قال الإمام الشافعي – رحمه الله: (إذا رأيتَ الكتابَ فيه إلحاقٌ وإصلاحٌ، فاشهد له بالصِّحَّة).

♦وبعضهم يُشَكِّل جميعَ الكلام، وبعضهم يُشَكِّل الذي يحتاج إلى شكل:

قال الرامهرمزي – رحمه الله: (قال أصحابُنا: أما النَّقْطُ فلابد منه؛ لأنك لا تَضْبِطُ الأسامي المُشْكِلة إلاَّ به... وقالوا: إنما يُشَكَّلُ ما يُشْكِل، ولا حاجة إلى الشَّكْل مع عدم الإشكال)، وقال آخرون: الأَولى أنْ يُشَكَّلَ الجميع، وكان عفَّان وحِبَّان من أهل الشَّكْلِ والتَّقييد)، وبعض المُحَدِّثين إذا شَكَّ في كلمة، سأل عنها أهلَ العربية؛ لِتُضْبَط: قال ابن المبارك – رحمه الله: (إذا سمعتُم عني الحديثَ، فاعرضوه على أصحاب العربية، ثم أَحْكِمُوه). [1]

[1]–ينظر: محمود بن أحمد الدوسري: منهج المحدثين في حفظ السنة، https://www.alukah.net/sharia/0/124625/#ixzz66uwYN9U4 ، 2019/12/2، 5سا،00د

المحاضرة 14: شبهات المستشرقين حول الحديث النبوي

تمهيد:

أولا: شبهات المستشرقين حول تدوين الحديث:

1-زمن بدء تدوين الأحاديث عند المستشرقين:

يذهب معظم المستشرقين إلى أن زمن تدوين الحديث النبوي الشريف قد تأخر، في أحسن الأحوال إلى القرن الأول الهجري، متوسلين بذلك إلى الطعن في صحة الأحاديث ومدى انتسابها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيما يأتي نماذج لمواقف بعض منهم في المسألة:

2 نماذج من شبهات المستشرقين حول تدوين الحديث:

أ-وليام موير (William Muir): يرى أنه لا توجد مجموعة كتابية للسنة موثوقة قبل منتصف القرن الثاني الهجري.

ب-جولد تسيهر: يرى أنّ الأحاديث التي كانت شائعة في العصر الأموي لم تكن تتعلق بالفقه، بل كانت تتعلق بالأخلاق والزهد والآخرة والسياسة.

ج-شاخت (Joseph Schacht): يوافق تسيهر فيما ذهب إليه آنفا، ويزيد بذهابه إلى أنه من الصعوبة أن يُعَدَّ واحد من الأحاديث الفقهية صحيحا، وأنها وضعت للتداول بين الناس منذ نصف القرن الثاني وما بعده.[1]

ثانيا: شبهات المستشرقين حول وضع الحديث:

1- شبهات المستشرقين حول السند ورجاله:

أ-طعن المستشرقين في السند ورجاله: أدرك المستشرقون أن حفظ السنة يأتي من حفظ سندها وحامليها من رواته (رجال السند)، فذهب فريق منهج إلى أن رواية الأحاديث بالسند جاءت متأخرة، في ذهب فريق آخر إلى الطعن والتشكيك في رجال السند في حد ذاتهم، ولقد ركزوا

[1]-حاكم عبيسان المطيري: تاريخ تدوين السنة وشبهات المستشرقين، 111.

خاصة على كبار الرواة، كأبي هريرة رضي الله تعالى عنه، وعائشة رضي الله عنها، والزهري وغيرهم ممن كان له باع طويل في الرواية.

ب–نماذج من المسشرقين الذين طعنوا في السند ورجاله:

ب–1:جولد تسيهر: يستهزئ تسيهر بمنهج المحدثين في التعامل مع السند والمتن: «وقد أثار التصرف الذي تظاهر به المحدثون في الحكم على تفصيلات الإسناد والمتن حتى عندما يتضح تماما بمجرد الرؤية السطحية (ما لم تثبط العزيمة برياء الرواة) أنه لا سبيل للتوثيق سخرية وازدراء قوم لم يعرفوا لأوعية العلم قدرها.»[1] ضاربا المثل بالشعراء وأصحاب الرأي الحر على حد تعبيره.

ب–2:روبسون: يقول: «في منتصف القرن الأول يمكن للمرء أن يتوقع شيئا ما يشبه السند، إذ قد مات عدد من الصحابة في ذلك الوقت، والذين لم يروا النبي (صلى الله عليه وسلم) بدؤوا يقصون عنه فكان من الطبيعي أن يسألهم السامعون عن مصادرهم أو معلوماتهم ما لم تكن مباشرة، حيث لم يروا النبي (صلى الله عليه وسلم)، أما وجود نظام دقيق للإسناد فلابد أن كان تدريجيا بحتا.» [2]

ب–3:شاخت: «لقد طعن شاخت في سند مالك عن نافع عن ابن عمر بأنّ نافعا مات ومالك صغير، وهذا خطأ، فمالك كان صاحب حلقة في مسجد المدينة في حياة نافع. وقد رد روبسون على شاخت في هذا السند في مقاله "الإسناد في الحديث النبوي"، وفي هذه المقالة عدل عن آائه التي تابع فيها شاخت عندما نشر بحثه، حيث كان يشك في جملة الأحاديث ويرى أن ما يمكن عزوه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هو القرآن وحده»، واختص شاخت هذا السند بالذات لما يعرف به "السلسلة الذهبية"، وهو سند مالك عن نافع عن ابن عمر[3] رضي الله تعالى عنهما.

2–أسباب وضع الحديث عند المستشرقين:

---

[1]– جولد تسيهر: دراسات محمدية، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، ع10، 492.

[2]–محمد بهاء الدين: المستشرقون والحديث النبوي، 101.

[3]– ينظر:أكرم ضياء العمري: موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية، 72، ومحمد بهاء الدين: المستشرقون والحديث النبوي، 106–108.

أ–الشبهة: أثار المستشرقون جملة من الشبهات حول الحديث النبوي، ادعوا فيها بأن أسباب واقعية أدت إلى الوضع في الحديث ذكر أبو شهبة مجموعة منها، تركزت في مجملها على أنّ الوضع في الحديث راجع إلى إعطاء الشرعية للأمويين وتأييدهم أو نزعها منهم، ومن ثمة كان العامل السياسي أهم عوامل الوضع في الحديث، هذا ولم تسلم حتى العبادات –بحسبهم– من وضع الأحاديث فيها مستدلين على ذلك بأقوال العلماء في الجرح والتعديل زاعمين أن الحكم على الحديث بالصحة يرجع إلى الجانب الشكلي فقط وأن الصحف المكتوبة غرض من أغراض الوضع[1].

ب–الرد على شبهة أسباب الوضع في الحديث:

يذهب جولد تسيهر ومن سار على دربه بأنّ الأتقياء من المسلمين هم من قاموا بوضع الأحاديث لمناهضة الأمويين، أو لتكميل الدين الذي كان لا يزال في مرحلة الطفولة على حد تعبيره، والحقيقة أن المسلمين هم أكثر الأمم توافقا مع أنفسهم إذ لم ينكروا أنه يوجد وضع في الحديث بدليل المصنفات العديد في هذا المجال، زيادة على آلية الجرح والتعديل التي انفرد بها الفكر الإسلامي ونشأت من أجل التيقن من سلامة عقيدة وعقل ناقلين الأحاديث، وينقل لنا ابن أبي شهبة قول ابن سيرين في هذا الصدد، والذي جاء فيه: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سمّوا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيُؤخَذ حديثهم، ويُنظَر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[2]، وأما عبد الله بن المبارك فيقول: «الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»[3]، ولم يقف الأمر عند تدين المرء وورعه، بل تعداه إلى الأهلية أو ما يعرف بالتخصص في وقتنا، قال عبد الله بن ذكوان (أبي الزناد): «أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمون، ما يؤخذ عنهم الحديث، يُقال ليس من أهله.»[4]

3–نماذج من المستشرقين القائلين بشبهة وضع الحديث:

---

[1]–محمد بن محمد أبوشهبة: دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين وبيان الشبه الوارد على السنة قديما وحديثا وردها ردا علميا صحيحا، 282–286.

[2]– محمد بن محمد أبوشهبة: دفاع عن السنة (مرجع سابق)، 295.

[3]–المرجع نفسه، والصفحة.

[4]–المرجع نفسه والصفحة.

أ–دي هربلو (De Herbelot): «وخلاصة رأيه أنّ جملة الأحاديث التي في الكتب السنة والموطأ والدارمي والدارقطني والبيهقي والسيوطي مأخوذة إلى حد كبير من التلمود. ويلاحظ أنه يفرق بين السنة التي التزم المسلمون بتطبيق أحكامها وبين الحديث الذي هو مجرد خبر تاريخي غير موثوق.»[1]

ب–جولد تسيهر: يذهب جولد تسيهر أن جملة الأحاديث النبوية التي جاءت للتحذير من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما هي في الحقيقة جاء بها من انغمسوا في الوضع يقول: «ظهرت التحذيرات التي ذكرناها آنفا بين الجماعات التي انغمست في وضع الأحاديث ونشرها باستثناء أولئك الذين سَعَوا للحكم على هذه الأنشطة بصرف النظر عن كون هذه الموضوعات وجدت لخدمة الدين السني، أم كانت بسبب الرغبة في محاربة أهل السنة ومعاداة افتراضاتها (ومن هذا النحو الدعاية العلوية).»[2]

---

[1]–أكرم ضياء العمري: موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية (مرجع سابق)، 70.

[2]–جولد تسيهر: دراسات محمدية، (مصدر سابق)، ع10، 492.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: الكتب المقدسة:

- **القرآن الكريم برواية حفص:**
- **العهد القديم**

ثانيا: قائمة المصادر بالعربية والأجنبية:

1- Richard Simon : Histoire critique des dogmes, des controverses, des coutumes et des cérémonies des chrétiens orientaux ; Bayer. Staatsbibliothek.

2- Pierre Bayle :Dictionnaire Historique et critique, T2 ; Desoer, Libraire, Rue Christine, Paris ; 1820.

3- Simon Ockley : The History of Saracens, PDF by Dinsmore Documentation, 2004; 6ed, London, 1857.

4 -Paule Casanova : Mohammed et la fin du monde : étude critique sur l'Islam primitif. Librairie Paul Geuthner, Paris, 1911.

5- آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري –أو عصر النهضة في الإسلام–، ترجمة: عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط5/دت).

6- زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب –أثر الحضارة العربية في أوروبة، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، مراجعة ووضع الحواشي: مارون عيسى الخوري، دار الجيل/ دار الآفاق الجديدة، بيروت، (ط8/1993م).

6- موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة: الشيخ حسن خالد، المكتب الإسلامي، (ط3/1990م).

7- إميل درمنغم: الشخصية المحمدية –السيرة والمسيرة–، ترجمة عادل زعيتر، الشعاع للنشر والتوزيع، القاهرة، (ط3/2005م).

8- مونتجمري وليام واط: محمد في مكة، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، مراجعة وتعليق أحمد الشلبي، الهيئة المصرية العامة، (دط/1994م).

9- جوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، (دط/دت).

11- جولد تسيهر: دراسات محمدية، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، ع10،

12- ريجيس بلاشير: القرآن: نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، ترجمة رضا سعادة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (ط1/1974م).

13- تيودور نولدكه: تاريخ القرآن، تعديل فريديريش شفالي، ترجمة: جورج تامر وآخرون، دار نشر جورج ألمز، نيويورك، (دط/2000م).

ثالثا: قائمة المراجع بالعربية والأجنبية:

1- محمد أمين حسين محمد بني عامر: المستشرقون والقرآن الكريم، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، (ط1/2004).

2-إسماعيل علي محمد: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل –مدخل علمي لدراسة الاستشراق–، دن، دب، (ط3/2000م).

3- Cambridge Advanced Learner's Dictionary, 4th ed, Cambridge university.

4- محمد فاروق النبهان: الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، (دط/2012م).

5- مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، دب، (ط1/1969م).

6- إدوارد سعيد: الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، دب، (دط/1995م).

7- زكاري لوكمان: تاريخ الاستشراق وسياساته –الصراع على تفسير الشرق الأوسط–، ترجمة: شريف يونس، دار الشروق، القاهرة، (ط1/2007م).

8- محمد أشرف علي المليباري: أهداف الترجمات الاستشراقية للقرآن الكريم ودوافعها، د. م. ن.

9-أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، (دط/1998م).

10- نجيب العقيقي: المستشرقون -موسوعة في تراث العرب، مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه، منذ ألف عام حتى اليوم-، (ط3/1964م)، دار المعارف، مصر.

11- عبد الله بن عبد الرحمن الوهيبي: حول الاستشراق الجديد -مقدمات أولية-، مركز البحوث والدراسات، البيان، ع177، الرياض، (دط/1435هـ).

12- عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، (ط3/1993م).

13- عبد القهار عبد الله العاني: الاستشراق والدراسات الإسلامية، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (ط1/2001م).

14- سعدون الساموك: الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، (ط1/2010م).

15- مازن المطبقاني: هل انتهى الاستشراق حقا؟، د م ن.

16- محمد فتح الله الزيادي : الاستشراق، أهدافه ووسائله -دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، دار قتيبة، دب، (ط1/1998م).

17- محمد السيد الجليند: الاستشراق والتبشير: قراءة تاريخية موجزة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (دط/1999م).

18- جمال كركار: ترجمة المستشرقين للنص الديني -فترة الإحتلال الفرنسي نموذجا-، مجلة معارف، السنة 3، ع6،

19- حسن عزوزي: آليات المنهج الاستشراقي في الدراسات الإسلامية، مطبعة آنفو-برانت، 12، شارع القادسية -الليدو-، فاس، (دط/دت).

20- أبو بكر الباقلاني: إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، القاهرة، (دط/دت).

21- النووي: شرح النووي على صحيح مسلم،

22- جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق وتعليق: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، (ط1/2008م).

23- محمد إبراهيم الفيومي: الاستشراق رسالة استعمار -تطور صراع الغرب مع الإسلام-، دار الفكر العربي، القاهرة، (دط/1993م).

24- محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، (دط/ دت).

25- عبد الحميد عبدوس: "استفزاز مدبر، إساءة لا تعتفر!"، جريدة البصائر، ص 3، ع 618، الاثنين 1-7 ذو القعدة 1433هـ/17-23 سبتمبر 2012م.

26- مشتاق بشير الغزالي: القرآن الكريم في دراسات المستشرقين -دراسة في تاريخ القرآن: نزوله وتدوينه وجمعه، دار النفائس، (ط1/2008م).

27- عمر بن إبراهيم رضوان: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، -دراسة ونقد-، دار طيبة، الرياض، (دط/دت).

28- عبد الراضي محمد عبد المحسن: ماذا يريد الغرب من القرآن؟ مجلة البيان، الرياض، (ط1/2006م)

29- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، توثيق وتخريج الأحاديث وتعليق: عبد المعطي قلعجي، دب، (دط/دت).

30- تاج الدين السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق وضبط: محمد علي النجار وآخرون، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ط2/1993م).

31– حاكم عبيسان المطيري: تاريخ تدوين السنة وشبهات المستشرقين، مجلس النشر العلمي/ لجنة التأليف والتعريب والنشر، الكويت، (دط/2002م).

32– محمد بهاء الدين: المستشرقون والحديث النبوي، دار الفجر، جامعة مالايا/ دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (ط1/1999م).

33– أكرم ضياء العمري: موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية، دب، (دط/دت).

34– محمد بن محمد أبوشهبة: دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين وبيان الشبه الوارد على السنة قديما وحديثا وردها ردا علميا صحيحا، مكتبة السنة، دب، (ط1/1989م).

35– نور الدين عتر: علوم القرآن، مطبعة الصباح، دمشق (ط1/1993م).

36– رباح صعصع عنان الشمري: جمع القرآن الكريم عند المستشرقين جون جلكريست – أنموذجا–، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، (ط1/2014م).

37– محمد البهي: المبشرون والمستشرقون ي موقفهم من الإسلام، الإدارة العامة للثقافة الإسلامية، الجامع الأزهر، مطبعة الأزهر، دب، (دط/دت).

38– مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، دار الوراق للنشر والتوزيع/ المكتب الإسلامي، دب، (دط/دت).

رابعا: المواقع الإلكترونية:

1-Merriam-webster; www.merriam-webster.com/dictionary/Orientalism; 25/07/2019; 7H30M.

2– موسوعة الأديان: المبحث الثالث: الأفكار والمعتقدات، https://dorar.net/adyan/759/، 2019/11/22، 20سا، 30د.

3– عبد الرحمن أبو المجد: تيري جونز المستشرق الذي يطالب بحرق القرآن، https://www.alukah.net/sharia/0/24055/، 2019/11/22، 20سا،50د

4– عبد الله: حصة "الله في حدث" ح61، من إعداد: القمص: زكريا بطرس: "تصريحات بابا الفاتيكان حول الكتاب المقدس والقرآن"، الأربعاء 8 يونيو 2016، قناة الفادي الفضائية، https://alfadytv.tv/، 2019/11/22، 21سا، 15د.

5– إي إروان سنتري دو القواعد الندوي وآخرون: معتقدات النصارى التي عالجها القرآن الكريم وصححها، القرآن رائد النقلة الحضارية للأمة 2013، https://www.academia.edu/9614603/، 2019/11/28، 20سا،30د.

6–قصة الغرانيق: http://www.alsiraj.net/eftraa/html/page12.html، 2019/12/1، 14سا 30.

7– مصطفى مسلم وفتحي محمد الزغبي: منزلة السنة النبوية من القرآن الكريم وعلاقتها به، https://www.alukah.net/sharia/0/72808/؛ 2019/12/02، 3سا،50د.

8– محمود بن أحمد الدوسري: منهج المحدثين في حفظ السنة، https://www.alukah.net/sharia/0/124625/#ixzz66uwYN9U4، 2019/12/2، 5سا،00د

9– حسيب شحادة: القديس يوحنا منصور سرجون الدمشقي، https://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=44859؛ ويوحنا الدمشقي: https://ar.orthodoxwiki.org/

فهرس الموضوعات:

الموضوع	الصفحة
مقدمة:	3
–المحاضرة 1: مفهوم الاستشراق	4
–المحاضرة 2: نشأة الاستشراق	10
–المحاضرة 3:أهداف الاستشراق	18
–المحاضرة 4: علاقة الاستشراق بالتنصير والاستعمار	21
–المحاضرة 5: مناهج المستشرقين في التراث الإسلامي	32
–المحاضرة 6: مظاهر النشاط الاستشراقي	43
–المحاضرة 7: المستشرقون بين الموضوعية والذاتية	46
–المحاضرة 8: شبهات المستشرقين حول الوحي	56
–المحاضرة 9: شبهات المستشرقين حول مصدر القرآن الكريم	60
–المحاضرة 10: شبهات المستشرقين حول جمع القرآن الكريم	68
–المحاضرة 11: قصة الغرانيق في النظرة الاستشراقية	78
–المحاضرة 12: ترجمة المستشرقين للقرآن الكريم	85
–المحاضرة 13: السنة ومنهج المحدثين	89
–المحاضرة 14: شبهات المستشرقين حول الحديث النبوي	95
قائمة المصادر والمراجع	99
الفهرس العام	105